كيف سيتغير العالم؟

تعرف إلى الشخص الذي سيغير العالم
كيف تصبح مساعدًا لهذا المنقذ الكبير

س. عباس نورالدين

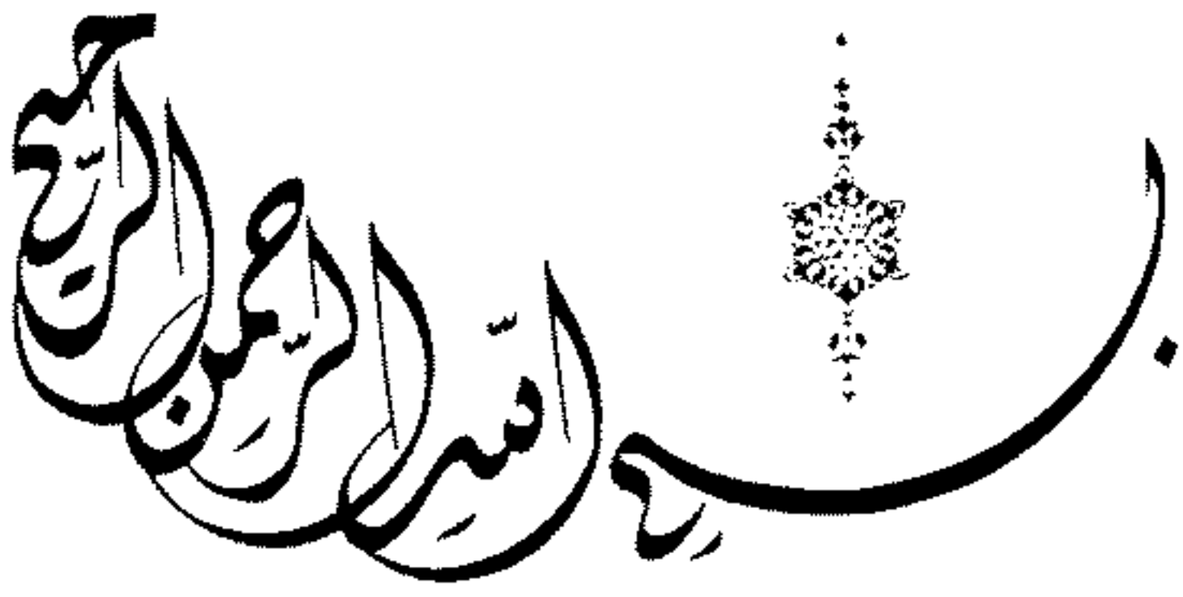
بسم الله الرحمن الرحيم

كيف سيتغير العالم
س. عباس نور الدين
مركز باء للدراسات

الطبعة الأولى 2017
بيت الكاتب للطباعة والنشر
جميع الحقوق محفوظة ©
---

www.Islamona.center
baacenter
961 76 862741
00961 1 477233

كيف سيتغير العالم ؟

تعرّف إلى الشخص الذي سيغير العالم

كيف تصبح مساعداً لهذا المنقذ الكبير

س.عباس نور الدين

مركز باء للدراسات

في هذا الكتاب

1. هل يمكن أن يتغيّر العالم؟ 6

2. أوضاع العالم 9

3. أسباب المشكلة الكبرى 33

4. دور الممهّدين الواقعيّين 44

- من أين يبدأ الحل؟ 51

5. قراءة التاريخ تساعدنا 54

6. من هو الإمام العادل؟ 60

7. كيف يربّي الإمام في غيبته؟ 62

8. نقطة الظهور 71

9. الذين عرفوا الإمام المهدي(عج) 75

10. كيف نحقّق الرابطة العميقة بالإمام؟ 92

- الثبات على ولايته 95
- البراءة من أعدائه 96
- الالتزام بمنهج الشريعة في شؤون الحياة 97
- الدعاء 99
- التمهيد لظهوره 100
- تهذيب النفس 102
- الحزن والبكاء على فراقه 103

ملحق 1: التكنولوجيا سيف ذو حدّين 106

ملحق 2: نماذج الكمال في العالم 111

هل يمكن أن يتغيّر العالم؟

لـكي تعـرف كيـف يمكـن أن يتغـيّر العـالم، ينبغـي أن تعـرف كيـف سـيكون حـين يتغـيّر، ومـا هـي أوضاعـه اليـوم، وكيـف وصـل إلى مـا وصـل إليـه.

كلّنـا نحلـم بتغيـير العـالم إلى الأحسـن، التغيـير الـذي تتحقّـق فيـه الجنّـة الأرضيـة والدولـة الفاضلـة والمجتمـع الصالـح ويعـم فيـه السـلام والعـدل وتزدهـر فيـه الطّاقـات البشريّـة وتتكامـل النفـوس. فحـين نشـاهد كل هـذا التلـوّث والفسـاد والظلـم لا يمكـن أن نقبـل أن تكـون الحيـاة هكـذا. ففـي أعماقنـا يوجـد تـوقٌ شـديد إلى العـالم الجميـل والحيـاة المثاليـة؛ ولأنّنـا نؤمـن بأنّنـا مسـؤولون يـوم الحسـاب بـين يـدي ربّنـا، فإنّنـا نبحـث عـن الحـل ونريـد أن نعـرف إن كان بوسـعنا القيـام بـأي شيء ولـو كان التخفيـف مـن معانـاة البـشر.

لقد شاهدنا كيف استطاعت بعض الشعوب أن تغيّر مصيرها فتخرج من ذلّ الاحتلال إلى عزّ الاستقلال، فعرفنا أنّ الشعوب قادرة على فعل الكثير. لكن ماذا عن العالم كلّه وهذه الأرض؟ لأنّنا مسلمون، لا يمكننا السكوت والتغاضي عمّا يجري على أي شعب أو بقعة من بقاع الأرض، خصوصًا أنّ أي شيء يحدث فيها يؤثّر في كلّ شيء فيها!

هذه هي صفة المؤمن باللّه والمعتقد بالإسلام، وهو يسمع قول اللّه تعالى:﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[1] . فلو أردت أن أكون من هذه الأمّة حقًّا، ينبغي أن أخرج للناس أدعو إلى كلّ خير وأنهى عن كلّ شر.

إنّ المؤمن يتمنّى تغيير العالم في قلبه، لأنّ قلب المؤمن طاهر يحبّ الخير، ولا يمكن أن يرضى بأيّ ظلمٍ أو فساد؛ ولأنّه على الفطرة التي فطره اللّه عليها، فمن الصعب أن تخرج هذه الأمنية من قلبه؛ إلّا أنّ المهم هو أن تتحوّل هذه الأمنية إلى نيّة حقيقيّة لتغيير العالم، وإن لم يتمكّن من تحقيقها في الواقع.

ففي الحديث الشريف "**نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِه**" [2]، ولهذا يُثاب المؤمن يوم القيامة على ما كان ينوي فعله، وليس على أعماله

فقـط. وأنـت تعلـم أنّ النوايـا تنبـع مـن الأمـاني والأحـلام. وإنّمـا يثيـب اللّـه تعـالى المؤمـن بجنّـة الخلـد لأنّـه كان ينـوي تغيـير العـالم كلّـه، كـما جـاء في حديـثٍ شريـف آخـر: **"إِنَّمَـا خُلِّـدَ أَهْـلُ الْجَنَّـةِ فِي الْجَنَّـةِ لِأَنَّ نِيَّاتِهِـمْ كَانَـتْ فِي الدُّنْيَـا أَنْ لَـوْ بَقُـوا فِيهَـا أَنْ يُطِيعُـوا اللَّـهَ أَبَـدا"**[3].

وإنّمـا تبـدأ الأحـلام بالمعرفـة. فأنـت تحلـم بـأن تصبـح طبيبًـا أو مخترعًـا، لأنّـك تعرّفـت إلى هـذه المهـن وتصـوّرت فائدتهـا وانسـجمت نفسـك الطيّبـة معهـا. كنـت تحـب أن تخـدم النـاس وتسـاعدهم، وهـا أنـت تسـمع عـن هـذه الاختصاصـات المفيـدة، ولـو أنّـك سـمعت عـمّا هـو أكـثر فائـدة لتاقـت نفسـك إليـه وتعلّقـت بـه.

فهـل يمكنـك أن تتصـوّر كيـف سـيكون حـال البـشر حـين تصبـح الأرض مليئـة بالقسـط والعـدل، وينتفـي فيهـا الظلـم والحقـد والعدوان؟ أجـل هـذا أمـرٌ ممكـن، وسـوف نتعـرّف إليـه بالتفصيـل عـلى صفحـات هـذا الكتـاب. والأهـم هـو أن نتعـرّف إلى كيفيـة تحقيقـه.

فلنبـدأ أوّلًا بفهـم أوضـاع العـالم، ثـمّ نرجـع إلى الأسـباب التـي أدّت إلى مثـل هـذه الأوضـاع. وبعدهـا يمكننـا أن نطـرح مـشروع تغيـير العالم، لأنّـه إذا عُـرف السـبب بطـل العجـب.

أوضاع العالم

من الصعب أن نعرض جميع أوضاع العالم على صفحات كتاب صغير، بل حتى لو كان عدّة مجلّدات كبيرة. لهذا، سوف نسعى لفتح أبواب هذه المعرفة أمامك وتسليط الضوء على الدرب الموصل إليها، على أمل أن تكون حياتك كلّها معرفة ومطالعة واهتمام بمثل هذه القضيّة الحسّاسة، بدل الانشغال بأمور لا طائل وراءها.

الاهتمام بالأرض والبشر جزءٌ أساسيّ من إنسانيّتنا، وهذا الدافع هو الذي يجعلنا نتابع ما يجري في العالم. وأفضل بوابة لهذه المعرفة والبصيرة هي البيئة. فمن خلال أوضاع البيئة وأحوالها يمكن قراءة الكثير ممّا يجري ومعرفة حقائقه.

البيئة الأرضية هي التي تشتمل على المياه والتربة (الجمادات) والنباتات والكائنات الحية والسماء، وهي أفضل كاشف عن

الأفعـال الواقعيـة للبـشر. وحـين يقـول اللّـه تعـالى: ﴿**ظَهَـرَ الْفَسـادُ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ بِمـا كَسَـبَتْ أَيْـدِي النَّـاس**﴾[4]، فهـذا دليـل عـلى أنّ أفعـال النـاس سـتظهر بشـكل واضـح في البيئـة. وفي التاريـخ البـشري، كانـت طبيعـة العـذاب الـذي كان ينـزل عـلى بعـض الأقـوام تعكـس مـا كانـوا يفعلونـه لـلأرض والسـماء.

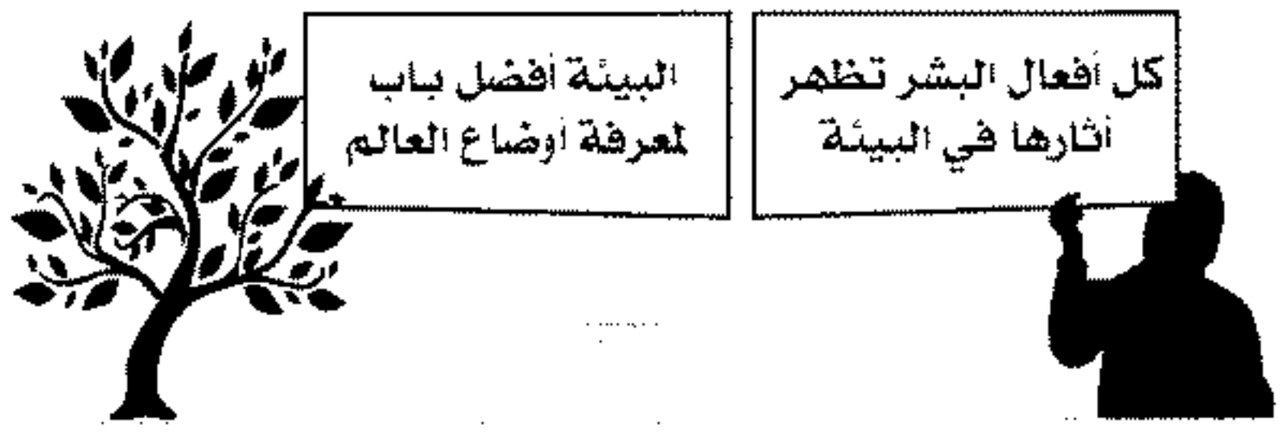

إنّ كل شيء نتناولـه ونشربـه سـوف يظهـر في الـبر والبحـر. وكل تحـرّك أو فعـل أو نشـاط سـيكون لـه أثـرٌ مبـاشر عـلى البيئـة. فـإن كان هـذا الفعـل سـيّئًا، فسـوف يـؤدّي إلى نـوع مـن الفسـاد البيئـي. وهذا ما يمكـن أن نتلمّسـه اليـوم أكـثر مـن أيّ وقـتٍ سـابق، لأنّنـا أصبحنـا نمتلـك الكثـير مـن المعلومـات التـي لم يكـن أجدادنـا قادريـن عـلى الوصـول إليهـا حـول أوضـاع الأرض. فالدراسـات تظهـر بـأنّ "أنشـطة البـشر عـلى مـدى الثـمان آلاف سـنة الماضيـة قـد خفّضـت مـن المسـاحات المكسـوة بالغابـات بنسـبة 46% ومعظـم هـذه الخسـارة قـد حصلـت خـلال

الستين سنة الماضية. كما تظهر دراسة أخرى بأنّ حوالي 130000 مترًا مربّعًا من الغابات الاستوائية يتم القضاء عليها سنويًّا؛ ومع حلول العام 2050، يُتوقّع أن تكون ربع الثروة الحيوانية والنباتية على الأقل قد اندثرت، ومن الممكن لنصفها أن يكون قد اختفى مع نهاية هذا القرن"[5].

رغم كثرة المعلومات التي تُنشر حول البيئة، إلّا أنّه من النادر أن نجد من يمتلك تصوّرًا واضحًا حول الوضع العام، وما نحتاج إليه هنا هو تلك الصورة الكلية التي نعرف من خلالها إلى أين تؤول الأمور.

أوضاع العالم

أنت تعلم أنّ كل شيء في الأرض يؤثّر في كل شيء. فما يجري على مياه الأرض يكون له تأثيرٌ كبير على تربتها، وما يجري على تربة الأرض يؤثّر تأثيرًا واضحًا على نباتها وشجرها، ولا شك بأنّ أوضاع الحياة النباتية والزراعات تؤثّر تأثيرًا عميقًا على الكائنات الحيّة؛ كما أنّ جميع أفعال الكائنات الحية، وخصوصًا البشر، ستصعد في السماء وتؤثّر على الفضاء، وسيعود الفضاء إلينا مرّة أخرى بتأثيرات كبيرة. فهذه هي دورة الحياة، حيث يأتي الماء من السماء وينزل

بواسطة المطر، فيحمل معه آثار السماء وأوضاعها ليرسم مستقبل النباتات التي هي مهد الكائنات الحيّة.

على سبيل المثال، إنّ تشكّل المطر يتأثّر بالانبعاثات المتصاعدة من الأرض. كما أنّ سير السحاب يتأثّر كثيراً بهذه الانبعاثات. وهكذا

سيكون معدّل الأمطار وتوزيعها على بقاع الأرض وكميّات سقوطها التدريجيّ وما ستحتويه الأمطار من مواد.

ففي بعض المناطق الصناعية تهطل الأمطار ممتزجةً بالأسيد الذي يؤدّي إلى احتراق الأشجار بدل إحيائها. وأنت تعلم أنّ الأمطار الأسيدية إنّما تتشكّل بسبب صعود مجموعة من العناصر الكيميائية التي تبثّها المصانع والعوادم. فهذه هي إحدى الظواهر التي نعرفها، وهناك الكثير من الأمور التي لا نعرفها أو ليست

مشهورة، "ففي الصين على سبيل المثال، إنّ ثاني أوكسيد الكبريت وثاني أوكسيد النيتروجين، المنبعثين من الطاقة المنتجة من الفحم، يتفاعلان مع الجوّ ليشكّلا تركيبات أسيدية مؤذية تنهمر كأمطار حمضيّة في أجزاء من الصين ودول أخرى"[6]، وحين تتساقط الأمطار الحمضيــة، فإنّها تجعل التربة شبه ميتة أو قليلة الخصوبة أو ممتزجة بمجموعة من العناصر الكيميائيّة التي تؤدّي إلى تخريب الزراعة أو تشويه المحاصيل أو امتزاج الثمار بمكوّنات مضرّة، وحين تتناولها الأنعام أو الإنسان، فإنّها قد تتسبّب بمجموعة من الأمراض أو التأثيرات السلبية على صحّته وذهنه ودماغه. وغالبًا ما تترك الآثار الصحية السلبية تبعات ونتائج سلوكية غير محمودة، أو تدفع الناس للقيام بأعمال مضرّة وهم يسعون إلى إصلاح الأمور، لماذا؟

أثبتت دراسة أُجريت في العام 2004 أنّ تبدّل المناخ الذي يتسبّب به الاحتباس الحراري يمكن أن يؤدي بأكثر من ربع الحيوانات والنباتات البرية إلى الانقراض مع نهاية هذا القرن[7].

بسبب جهلهم بالطبيعة وكيفيّة عملها. كما فعل الأستراليون حين استقدموا الضفدع الأمريكيّ السامّ لمعالجة انتشار بعض

الحشرات المضرّة بالمحاصيل؛ أو كما يفعل الأمريكيّون مع التربة بإنهاكها بالمبيدات والمواد الكيميائية التي تؤدّي أيضًا إلى الإضرار الكبير بالحياة البحرية، وكما تظهر الدراسات "فإنّ المبيدات الحشريّة تقتل سنويًّا حوالي الخمس من مستعمرات النحل المفيدة

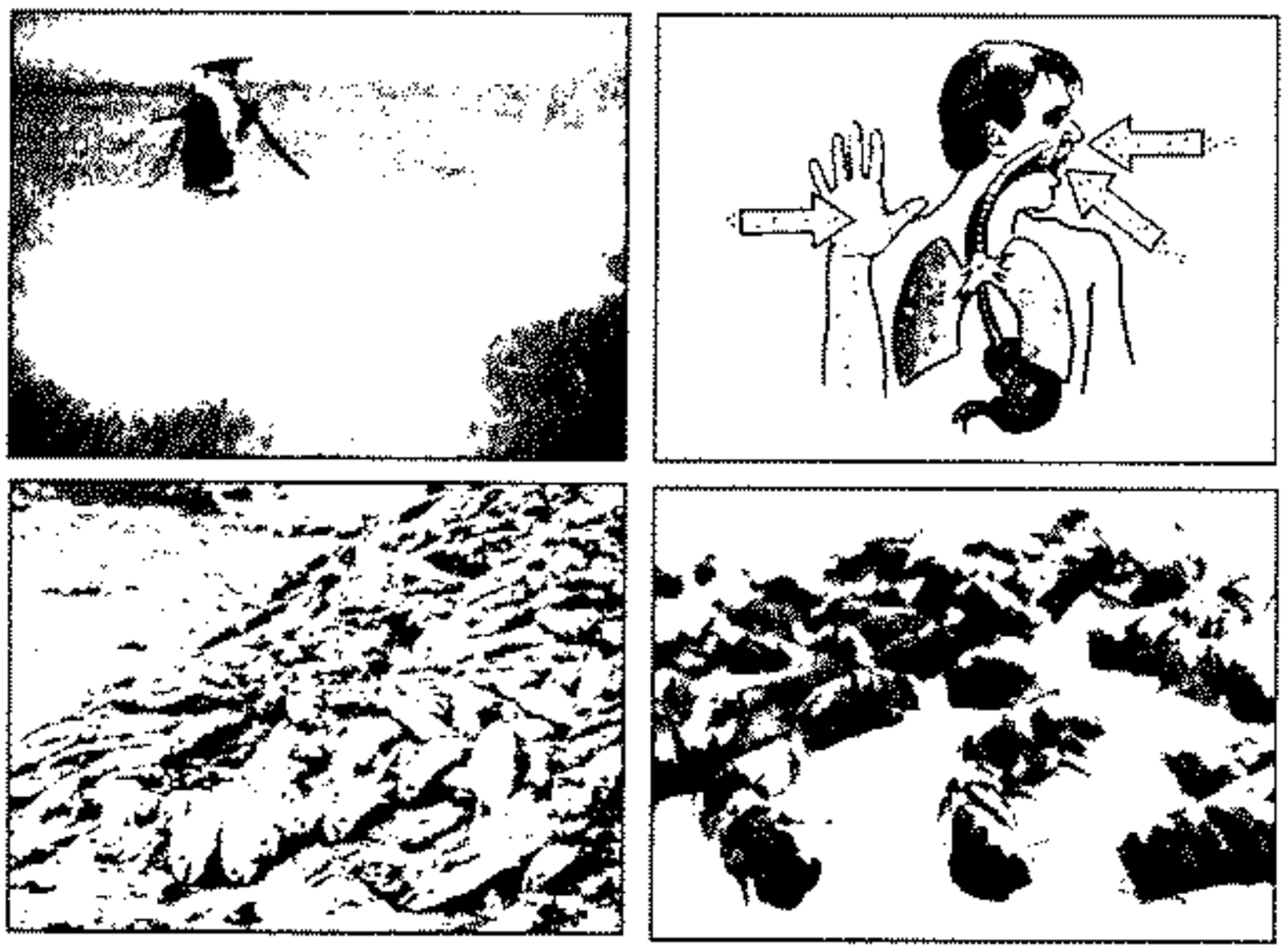

في الولايات المتحدة، وأكثر من 67 مليون طائرًا ومن 6 إلى 14 مليون سمكة."[8]

ولقد سمعت عن ثقب طبقة الأوزون، التي تحمي الإنسان من بعض الإشعاعات الشمسية المضرّة، فهذا الثقب يحصل بسبب ما يبعثه الناس من مواد إلى السماء، وخصوصًا تلك التي تحصل جرّاء

التجارب النووية.

أمّا الاستهلاك المفرط للتربة في الزراعات ـ لأجل السيطرة على الأسواق أو إنتاج الوقود أو إنتاج ما لا فائدة أساسية له أو في الصناعات غير اللازمة ـ والذي يجري في معظم مناطق العالم، يؤدّي

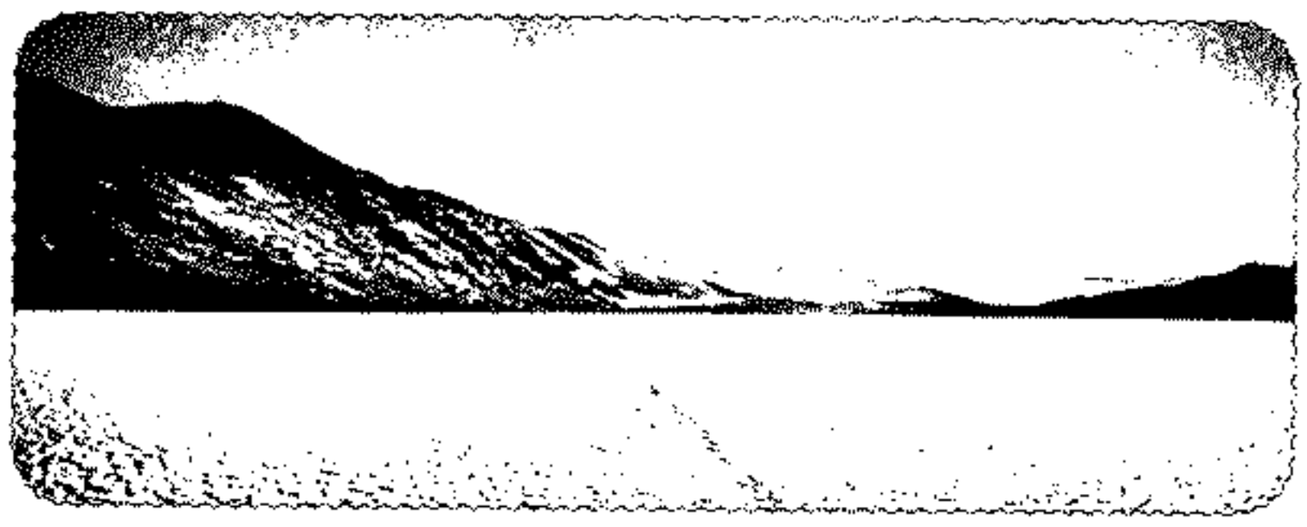

إلى إتلاف التربة. وفي بعض الحالات تصبح التربة غير قابلة للمعالجة والإصلاح. وهذا نوع من التصحّر الذي لا رجعة فيه.

وماذا عن مناجم الفحم والحديد والذهب والعناصر الكيميائية التي تُستخدم في الصناعات الحديثة. هل تعلم أنّ هذه المناجم غالبًا ما تؤدّي إلى القضاء على تربة الأراضي التي تحيط بها، بحيث لا يمكن إصلاحها ولو بعد مئات السنين!

فكلّ يوم تزداد المشاكل المتعلّقة بتأمين الغذاء الصحّي المناسب للإنسان، وهذا ما يزيد من مشاكله الصحية والنفسية، ويجعل

حياتـه بعيـدة عـن الكرامـة التـي أرادهـا اللّـه لـه. وحـين تقـل كرامـة الإنسـان ويتقبّـل أن يعيـش مثـل الأنعـام، فسـوف يبتعـد عـن الهـدف الـذي خلقــه اللّــه لأجلــه، ويصبــح مخلوقًــا مسـتعدًّا لارتـكاب الجرائـم والفظائـع.

انظـر إلى معظـم جيـوش العالم، تجد أنّها تتشـكّل مـن أشـخاص لا يعرفـون قيمـة الإنسـان ولا يفقهـون معنـى حياتـه، ولا يدركـون حقيقـة الكرامـة الإلهيـة، وقـد انتسـبوا إلى الجيـش لأجـل أن يعيشـوا ولـو بأدنى مـا يكـون العيـش. فهـذه الجيـوش سـوف تكـون مسـتعدّة للإبـادة والتدمـير والتخريـب مـن دون أي رحمـة.

أكثر المتزوّجين حديثًا سيُفاجئون إذا علموا بأنّ 6 أطنان من نفايات التعدين قد أُنتجت لصناعة محبسهم الذهبيّ الواحد.

إنّ قلّـة المـوارد الطبيعيـة تزيـد مـن نسـبة الفقـراء. والفقـراء هـم مكوّنات الجيـوش والقـوات المسـلّحة. والجيـوش هـي إحـدى أدوات التخريـب والدمار. فلـو انتفـت الجيـوش لاختفت الحـروب. ولـو انطفأت نـيران الحـروب لانصرف النـاس إلى إصـلاح أرضهـم. ولـو صلُحـت الأرض لازدهرت المعيشـة. فكيف يمكن الخـروج مـن هـذه الدوّامة الشـيطانية؟

المـؤشّر الآخـر عـلى الفسـاد هـو الجريمـة بـكلّ أنواعهـا. فمنهـا

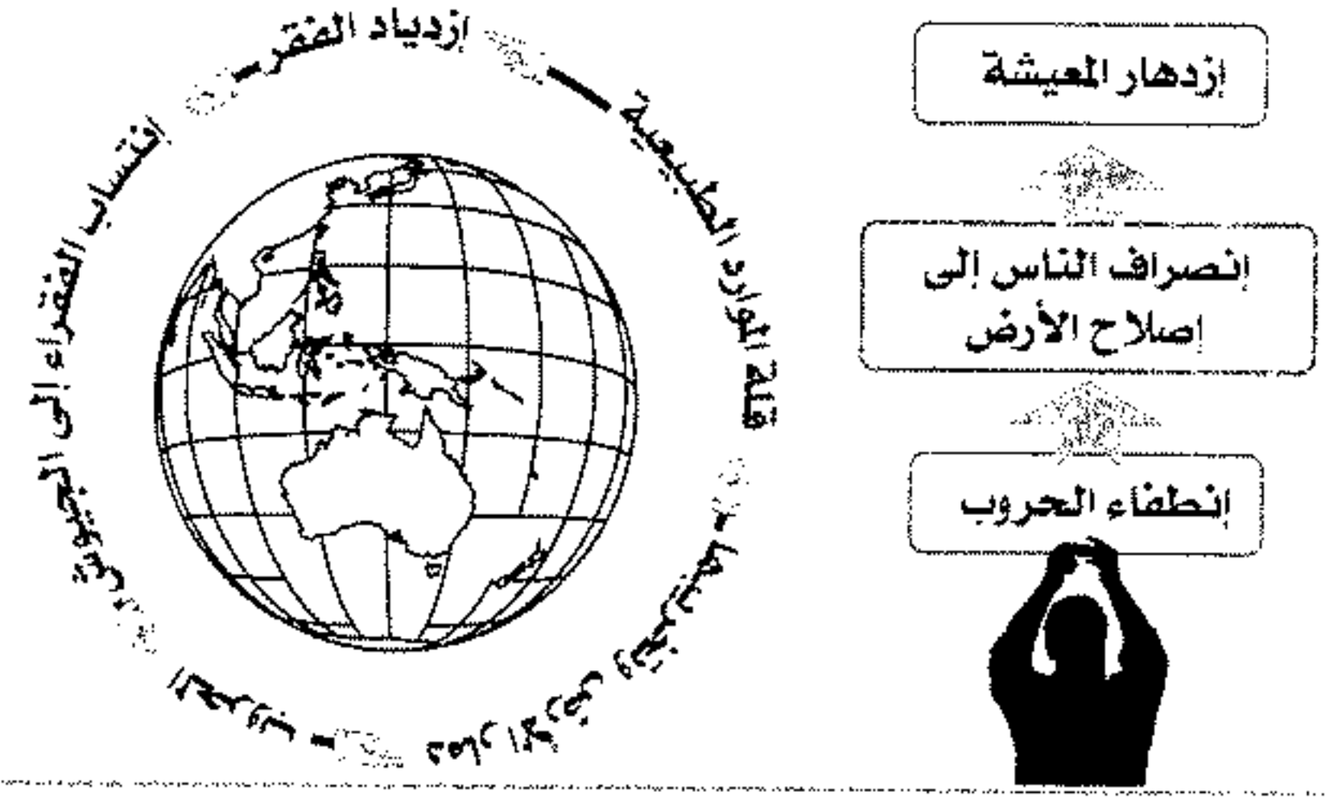

الجريمة التي يرتكبها الناس عمدًا كالقتل والسرقات والعدوان؛ ومنها ما يقع بطريقة غير مباشرة مثل الحوادث التي تسبّبها الأخطاء البشرية والإهمال والتدابير الجاهلية وأمثالها. ومن أنواع الجريمة الأمراض التي تصيب الناس وتؤدّي إلى تعطيل حياتهم أو موتهم ولو بعد حين.

> إنّ مجموع المساحة الأرضية التي تعاني من الجفاف الحادّ أو المفرط، قد تضاعف ما بين العامين 1979 و 2008 أكثر من ثلاثة أضعاف وهو ما يسمّيه المراقبون بالـ « الجفاف الكبير »[9].

إنّ عدد قتلى الحروب والحوادث والأمراض الناشئة من تصرّفات الناس وسوء أوضاعهم الحياتية يزداد يومًا بعد يوم. وأخطر آثار القتل والموت الفجيع

هـو مـا يتعلّـق بقيمـة الحيـاة وقيمـة الإنسـان. فكثـيراً مـا تتسـبّب هـذه الظاهـرة المؤسـفة بآثـار نفسـيّة وعقائديـة وخيمـة، لأنّ أكـثر النـاس يعجـزون عـن فهـم أسـبابها، فـلا يـرون مـن الحيـاة سـوى وجهها البشـع. وحـين تسـيطر البشـاعة عـلى الذهـن والتصـوّر، لا يمكـن للإنسـان أن يـرى الوجـه الجميـل المـشرق الـذي يربطنـا بالجـمال المطلـق ويدفعنـا لنكـون صالحـين.

يتطلّـب الأمـر حـوالي 450000 ليـترًا أو 2400 مغطسـاً مليئـاً بالميـاه لإنتـاج سـيارة صغـيرة، ويحتـاج الأمـر إلى 140 ليـتر (37 غالـون) لإنتـاج كـوب قهـوة، و25 مغطـس مـليء بالميـاه لإنتـاج تيـشرت نموذجيـة[10].

إنّ مـوت عزيـز قريـب بمـرض السرطـان يـترك في أعـماق الكثـير مـن النـاس تسـاؤلات غـير قابلـة للحـل. فلـماذا تمـوت أم لثلاثـة أولاد في السادسـة والثلاثـين مـن عمرهـا؟! ومـا هـو ذنـب هـؤلاء الأطفـال اليتامـى؟! وكيـف سـتكون حياتهـم بـلا أم تحـنّ عليهـم وترعاهـم وتغمرهـم بعطفهـا واهتمامهـا؟! فهـل يمكـن أن يُجـاب عـن هـذه الأسـئلة بسـهولة؟

إنّهـا أسـئلة تعصـف بالكثـير مـن الذيـن فقـدوا الأعـزّة بمثـل هـذه الطريقـة، فتذرهـم في دوّامـة الشـك والذهـول! لكـنّ النـاس لـو عرفـوا أنّ هـذه الأم قـد قُتلـت بسـبب جشـع الرأسـماليين الذيـن يتلاعبـون

بالغـذاء والمـاء والهـواء، لانتفضـوا، وبالحـدّ الأدنى لرفضـوا أن يتناولـوا هـذه المنتجـات الغذائيـة المسرطنـة. ولـو فعـل النـاس ذلـك لتوقّـف أولئـك العابثون بالحيـاة البشريـة عـن إنتـاج تلـك السـلع. وبذلـك يمكن الحـدّ مـن الكثـير مـن الأمـراض. ويومًـا بعـد يـوم تتكشّـف أسـباب الكثير مـن الوفيّـات، ويتبيّن أنّها حصلـت بسـبب طبيعـة الغـذاء ونمـط العيـش غـير الصحّـي الـذي يجـد الكثـير مـن فقـراء العـالم أنفسـهم مجبريـن عليـه. وبالنسـبة لنـا تُعـدّ هـذه جريمـة عمديـة واضحـة، وإن كانـت الوفـاة قـد حصلـت بعـد معاناةٍ طويلـة أو عـلى مـدى زمـنٍ طويـل. **فـلا فـرق بـين أن تقتـل إنسـانًا برصاصـة أو تقتلـه بغـذاءٍ سـام عـلى مـدى عشريـن سـنة، فالقتـل واحـد وهـو جريمـة، وأبشـع مـا في الجريمـة أنّهـا تزيـد الحيـاة قتامـة وقبحًـا.**

إنّنـا لا نتحـدّث عـن الآثـار الماديـة البحتـة فقـط، لأنّ الحيـاة ليسـت مجـرّد أكل وشرب.. الحيـاة هـي تمتّـع بالجـمال أكـثر مـن أي شيء. وقـد خلـق اللّـه الأرض لتكـون مظهـر جمالـه، يشـهد عـلى ذلـك مـا نصـل إليـه حـين نتفكّـر بإمكاناتهـا الهائلـة. وحـين يـرى النـاس مظاهـر الجـمال الإلهـيّ في الأرض، فسـوف يتوجّهـون إلى مصـدره في السـماء، أي

أنّ إيمانهم بوجود الجمال المطلق وعشقهم له سيزداد حضورًا في حياتهم. وهكذا يتّصل البشر بالجمال المطلق، فيحبّونه ويعبدونه، وبعبادته يرتقون ويتكاملون ليصلوا في النهاية إلى قربه.

أمّا إذا فسد العالم وفقدت الأرض جمالها، أو تغلّب القبح فيها على الجمال، فهذا يعني أنّ دورها الأساسي في صناعة الإنسان الكامل لم يتحقّق؛ وهنا تكمن المشكلة الكبرى، ومنها تنبع كل الشرور.

لهذا، يجب أن ننظر إلى الحياة والأرض وكائناتها، والسماء وما ينزل منها وما يعرج إليها، من منظار الجمال الذي يصنع الإيمان ويصنع الإنسان ويفيض بالمعاني ويعطي القيمة للحياة. وكلّما ارتقت معرفتنا بالجمال وأبعاده ومظاهره، اتّسع وعينا وفهمنا للحياة.

فالجـمال ينبغـي أن يظهـر في جـمال العلاقـات، وجـمال الأبـدان والأجسـام، وجـمال الكائنـات وجـمال الطبيعـة وجـمال النفـوس وجـمال الإنتـاج والإبـداع وجـمال الآثـار والأفعـال. كلّ شيء ينبغـي أن يكـون جميلًا، فإن لم يكـن كذلـك، فهـذا دليـل عـلى وجـود خطإٍ مـا. وحـين تكـثر البشـاعة ويعـمّ القبـح، فهـذا يعنـي أنّنـا نسـير نحـو عاقبـة وخيمـة. ويجـب إيقـاف هـذا التدهـور.

جـمال الطبيعـة لا يكـون بكـثرة الأشـجار فحسـب، بـل بنوعيّـة الأشـجار ومـا يمكـن أن تقدّمـه للإنسـان مـن تسـهيل حياتـه وتنويـع مصادرهـا وخدمـة النظـام البيئـيّ ككل.

فـلا يغرّنـك كـثرة الأشـجار في بعـض البلـدان، فقـد تكـون فاقـدة للريـح الطيّـب، والريـح الطيّـب أسـاس تشـكّل الغيـث الطيّـب، والغيـث الطيّـب أسـاس نمـوّ النبـات الطيّـب؛ قـال اللّـه تعـالى: **﴿وَالْبَلَـدُ الطَّيِّـبُ يَخْـرُجُ نَباتُـهُ بِـإِذْنِ رَبِّـهِ وَالَّـذي خَبُـثَ لا يَخْـرُجُ إِلاَّ نَكِـداً كَذلِـكَ نُـصَرِّفُ الْآيـاتِ لِقَـوْمٍ يَشْـكُرُون﴾**[11].

ولا يخدعنّك كـثرة النبـات في بلـدٍ مـا، فقـد يكـون مرحليًـا، وسرعـان مـا سـينقلب إلى مشـكلة وخيمـة لهـذا البلـد الـذي لم يعـرف كيـف ينوّع

مـن نباتـه وكيـف يوزّعـه. قـال اللّـه تعـالى: ﴿**تَـرَى الْأَرْضَ هامِـدَةً فَإِذا أَنْزَلْنـا عَلَيْهَـا الْمـاءَ اهْـتَزَّتْ وَرَبَـتْ وَأَنْبَتَـتْ مِـنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيـجٍ**﴾[12] .

جـمال الحيوانـات براحـة عيشـها وقلّـة افتراسـها ونـدرة أذاهـا للبـشر ولمصـادر عيشـهم.

> يسـتخدم كل مواطـن عـادي في البـلاد المتحـضرة مـن الطاقـة في 6 أشـهر مـا يسـتهلكه المواطـن العـادي في الـدول الناميـة عـلى مـدى الحيـاة[13].

فـلا يخدعنّـك قلّـة الأذى بسـبب كـثرة اسـتعمال المبيـدات، لأنّ المبيـدات سـتجلب للبشريـة أعظـم الكـوارث مـن خـلال مـا تخلقـه مـن كائنـات صغـيرة ميكروبيـة فتّاكـة. ولأنّ المبيـدات هـي إحـدى أكـبر مسـبّبات إتـلاف التربـة ومـوت البحـار وقلّـة الأوكسـجين.

فصحّـة الأبـدان لا تكـون مـن خـلال مـا تُظهـره مـن قـوّة في لعبـة الفوتبـول الأمريكيـة، لأنّ علينـا أن ننظـر إلى مـا سـيحدث بعدهـا مـن ارتجاجـات دماغيـة خطـرة تتسـبّب بالمـوت والخـرف والآلام الحـادّة. وصحّـة الأجسـاد لا تُقـاس بأجسـاد المصارعـين في لعبـة الـ "WWE Raw" بـل مـن خـلال أدائهـا اليومـيّ واسـتمراريتها وتوازنهـا.

صحّـة الأبـدان هـي إحـدى مظاهـر جمالهـا، والمـرض يتسـبّب

بالبشـاعة. ونجـاح برنامـج الصحّـة ينبغـي أن يظهـر في مرحلـة الشـيخوخة، لأنّهـا مرحلـة الحصـاد ومرحلـة النتائـج. أي المرحلـة التـي تكشـف لنـا مـا كان يقـوم بـه الإنسـان طـوال عمـره. فهـل سـتكون هـذه المرحلـة مليئـة بالمعانـاة، بحيـث تشـغل بـال الإنسـان بهـمّ المـرض ومتابعاتـه، أم سـتكون مرحلـة مفعمـة بالأمـل والتوجّـه إلى المعنويـات والاسـتفادة منهـا إلى أقـصى حـدّ؟

الشـيخوخة هـي انخفـاض التمتّـع بالأمـور الماديـة، لكـن! لحسـاب التمتّـع بالأمـور المعنويـة. أمّـا المـرض المشـغِل، فإنّـه يمنـع أو يحـدّ كثـيرًا مـن أنـواع التمتّـع المعنـويّ التـي هـي فرصـة عظيمـة للشـيخوخة. فليسـت الصحّـة في أن يعيـش الإنسـان عمـراً مديـدًا وهـو يعـاني مـن الخـرف وضعـف الهمّـة وقلّـة الميـل إلى المعنويـات.

دراسـة أُجريـت في العـام 1992 تظهـر بـأنّ إبقـاء عصفـور في الداخـل أكـثر مـن 10 سـنوات يضاعـف من إمكانيـة إصابة الشـخص بسرطان الرئة نتيجـة تنشـق الجزيئيـات الصغـيرة مـن وبـره[14].

جـمال العلاقـات يظهـر في التسـامح والمحبّـة والرحمـة والإحسـان والتعـاون والعفـو والشـفقة والتكافـل بـين أبنـاء البـشر. وقبـح العلاقـات

يظهـر في العـدوان والعصبيـة والاسـتعلاء والخـوف مـن الآخـر والكراهيـة والبخـل.

هـل تعلـم أنّـه لـو أنفـق الغـرب مقـدارًا يسـيرًا مـن ثرواتـه الطائلـة المكدّسـة في بنوكـه ومصارفـه لحـلّ مشـكلة الفقـر في كلّ العـالم؟! ولـو أنّـه أنفـق مـا هـو أقـل مـن هـذا المقـدار عـلى شـعوبه، لمـا وُجـد فقـير واحـد عنـده! وحـين ينتفـي الفقـر يـزول التسـلّط والاسـتعباد، وحـين يـزول التسـلّط يـزول الفسـاد والجريمـة والقتـل والخطـف والاغتصـاب.

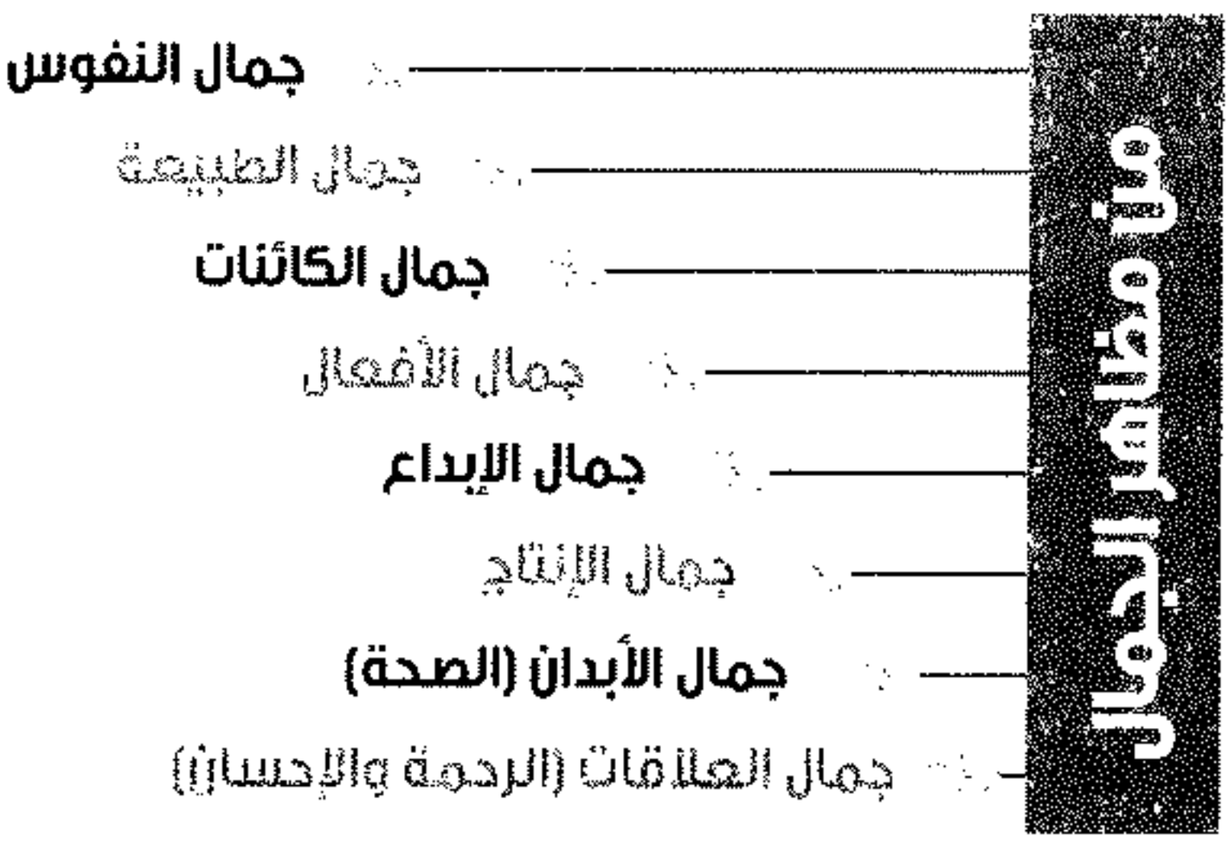

وفي المقابـل، لا ينبغـي أن تنخـدع بالأمـن الظاهـريّ الـذي تـراه في العديـد مـن البلـدان التـي تمتلـئ سـجونها بالمجرمـين والمحكومـين ظلـمًا.

ففـي هـذه البلـدان الكثـير مـن الأشـخاص الذيـن أصبحـت حياتهـم جحيـمًا بسـبب الخـوف وصـارت معيشـتهم صعبـة معقـدة بسـبب إجـراءات الأمـن ومـا ينفقونـه عـلى الحراسـة والحمايـة والقـوّات الأمنية.

فأنـت تعلـم أنّ قسـمًا كبـيرًا جـدًا مـن الـثروات القوميـة لتلـك الـدول يُنفـق عـلى التدابـير الأمنيـة المختلفـة، وأنّ هـذه الـثروات الطائلـة لم تـأتِ مـن الهـواء، وإنّمـا كانـت بالدرجـة الأولى مـن تعـب الفقـراء وكـدح الطبقـات الوسـطى واسـتهلاك مـوارد الطبيعـة اسـتهلاكًا مفرطًـا.

حـين تسـمع عـن الكـدح والتعـب فـلا بـدّ أن تعلـم أنّـه أحـد أكـبر المشـاغل عـن الحيـاة الجميلـة والاهتمامـات المعنويـة.

أجـل يدفـع المواطـن الأمريـكيّ مـا معدّلـه عـشرة آلاف دولار سـنويًا لحمايـة نفسـه مـن السرقـة والاعتـداء، ولكـن هـل تعلـم كـم أخـذ منـه هـذا المبلـغ مـن جهـدٍ وتعـب وسـهر وشـغل عـمّا خُلـق لـه في هـذه الحيـاة؟!

الأمـن نعمـة كـبرى، لكـن لا ينبغـي أن يحصـل عليـه الإنسـان بطريقـة تشـغله عـن جـمال الحيـاة، ولا ينبغـي أن يكـون الإنسـان مشـغولًا معظـم عمـره في الدفـاع عـن نفسـه، فلـم تكـن الحيـاة لأجـل

ذلـك، بـل ينبغـي أن يكـون الدفـاع والأمـن مقدّمـة للسـعي الإيجـابيّ البنّـاء.

وكل قصـدي مـن وراء هـذا الـكلام هـو أن نفتـح أعيننـا على البشـاعة

يتم تسميم النسـور الآكلـة للجِيف بـدواء الديكلوفينـاك، وهـو دواء مضـاد للالتهـاب يخفّـض مـن نسـبة الأوجـاع في البقـر والبـشر ويُسـتخدم لزيـادة إنتـاج الحليـب لـدى البقـر، إلّا أنّـه يتسـبب بتعطّـل الكُلى في النسـور الذيـن يتغـذّون عـلى جثث الأبقـار. ومـع مـوت النسـور، فـإنّ العـدد الضخـم مـن جثـث الأبقـار كان يتـم اسـتهلاكه مـن قبـل الكلاب والفـئران، الـتي كانـت النسـور تساعد عـلى التحكّـم بعددهـا، مـن خـلال خفـض إمداداتهـا الغذائيـة. بينمـا تضخـم عـدد الكلاب بسـبب الازديـاد الكبـير للإمـدادات الغذائيـة، إزداد أيضـاً عـدد الـكلاب المصابـة بـداء الكلَـب؛ ممّـا زاد مـن إمكانيـة تعـرّض النـاس لعـضّ الـكلاب المصابـين بـداء الكلـب. ففـي العـام 1997 لوحـده، مـات أكـثر مـن 30000 شـخصاً في الهنـد بسـبب هـذا الـداء.

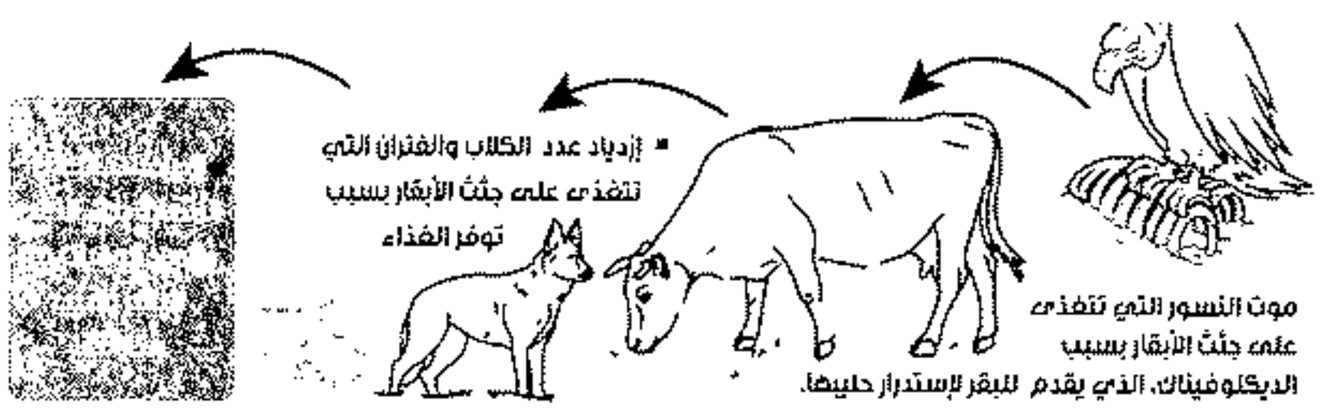

المخفيّة وسط هذا الجمال الظاهريّ الخدّاع، ولأنّ البشاعة الحقيقية هي أكبر مؤشّر ودليل على الفساد والدّمار والانهيار. ولا يمكن أن نعرف البشاعة الواقعية إلاّ إذا كنّا نتصوّر جمال الحياة الواقعيّ. والحمد للّه إنّ تصوّر الجمال الواقعيّ للأجساد والعلاقات والإبداع والكائنات والطبيعة ليس بالأمر الصعب، وإن تطلّب منك التفكّر قليلًا.

الجمال الواقعيّ للحيوانات يكون في انطلاقها في العالم ودورها في تكميل الحياة النباتية والدورة الطبيعية، وليس في اقتنائها ووضعها في الحدائق أو الأقفاص أو حتى في البيوت. فهل تكون الكلاب والقطط جميلة إذا كانت تتسبّب بالعديد من الأمراض والآفات. فقد أحصى المركز السويدي للأبحاث 17 مرضًا تتسبّب بها القطط والكلاب المنزلية، كان أقلّها الشعور بالغثيان والدوخة.

فلا يخدعنّك ذلك المظهر الإنسانيّ للعلاقة بين البشر والكلاب، لأنّه قد يحمل في داخله الكثير من المعاناة والانشغالات السخيفة. ولا تتفاجأ إذا عرفت أنّ توجّه الكثير من الغربيّين إلى عدم إنجاب الأطفال (لا بل كراهية الأطفال) يرجع إلى اقتناء الكلاب المنزلية

والاستغناء بها. والكلام في هذا الموضوع يطول وفيه الكثير من الوقائع العجيبة.

إذًا، لكي نعرف جمال الحيوانات على أنواعها ينبغي أن ننظر إلى مشهد الحياة من جميع الجهات، فلا نحصر نظرنا إلى بعض الأمور المفيدة أو الإنسانية. وإنّما تزدهر الحيوانات وتتكامل في البيئة المناسبة التي يحقّقها الإنسان لها، فتتكامل معها دورة الحياة كلّها.

وقد ذكرتُ هذه الملاحظات لكي لا تحصر نظرتك إلى وقائع الحياة وما يجري على الأرض بالأرقام والإحصاءات التي تصدر هنا وهناك.

فإذا سمعت أنّ معدل العمر قد ارتفع في بلدٍ ما من التاسعة والستين إلى الثالثة والثمانين، ينبغي أن تسأل عن طبيعة العمر الذي أضيف ونوعيّته، ولا تكتفي بالأرقام الظاهرية.

وإذا قرأت عن زيادة في النموّ الاقتصادي في أي بلد، ينبغي أن تسأل عن كيفية توزيع الثروات المضافة؛ فقد تكون هذه الثروة الجديدة سببًا في زيادة الهوّة بين الأغنياء والفقراء. وهل تعلم ما الذي يسبّبه اتّساع الهوّة هذه من كوارث اجتماعية وأزمات

اقتصاديــة ومشــاكل نفســية؟

افـترض أنّ معـدل الدخـل العـام قـد ارتفـع، وأنّ الحـد الأدنى للأجـور قـد ازداد، وهـذا يعنـي أنّ الفقـراء سـوف يجنـون المزيـد مـن المـال في العمـل نفسـه؛ ولكـن هـل هـذا يعنـي أنّ حياتهـم ومعيشـتهم ستتحسّـن؟ فقـد تنخفـض القيمـة الشرائيـة للعملـة، وقد يفـرض الأغنياء عليهـم الكثـير مـن أعبـاء الحيـاة الإضافيـة التـي تجعلهـم يلهثـون أكـثر مـن السـابق ليبلغـوا معيشـة الأغنيـاء مـن دون جـدوى. فقـد كانـوا قبـل سـنوات يجنـون ألـف دينـار في الشـهر، وبعـد أن أصبـح دخلهـم الشـهريّ ألفـي دينـار، فـإنّ توقّعاتهـم مـن الحيـاة ومتطلّباتهـا ازدادت أكـثر مـن ضعفـين، مـمّا يعنـي أنّ فقرهـم قـد ازداد مـع ازديـاد دخلهـم! اسـأل والديـك أو أجـدادك عـن تكاليـف الاتّصـالات قبـل ثلاثـين سـنة، وقـارن بينهـا وبـين تكاليـف الاتّصـالات في عـالم الإنترنـت اليـوم.

ولعلّـك تعلـم أنّ الطبقـات المرفّهـة في المجتمعـات الاسـتهلاكية غالبًـا مـا تعـرض أنموذجًـا مخادعًـا للحيـاة الجميلـة، حيـث يصبـح هـذا الأنمـوذج هدفًـا للطبقـات الفقـيرة أو الكادحـة، فتتحـرّك نشـاطاتها الاقتصاديــة وتتّجــه إنتاجيّتهــا وجهودهــا نحــو تحقيــق ذاك النمــوذج

المصطنع للعيش. وللأسف فإنّ أكثر أفراد تلك الطّبقات الكادحة لا تلتفت إلى أنّ قسمًا كبيرًا من وقتها وجهدها سوف يضيع هباءً وهي تطارد هذا السراب.

إذًا، قبل الحديث عن المعاناة والأزمات والأوضاع، ينبغي أن نتصوّر كيف تكون الحياة الجميلة لكي لا تخدعنا المظاهر البرّاقة الخالية من الحقيقة. فيجب أن نفهم كيف يكون الماء جميلًا في حياتنا، وكيف يكون النبات جميلًا، وكيف يكون الحيوان جميلًا، وكيف يكون البدن جميلًا، وكيف يكون المجتمع البشريّ جميلًا، وكيف تكون السماء جميلة؛ حينها سنقدر على تصوّر حجم الكارثة التي حلّت بالبشرية.

يجب أن نعرف ما هو وضع الماء الذي ينزل من السماء أو الذي يُستخرج من الأرض؟ ما هو حال الأنهار والبحار والبحيرات والآبار؟ سواء في جريانها وتدفّقها ونوعية مياهها وعذوبتها وسهولة وصولنا إليها وتخزينها واستخدامها في صحّتنا.

لقد سمعنا في الروايات عن القدرة العجيبة لماء المطر في شفاء الأمراض. لكن هل يمكنك اليوم أن تستعمل هذا المطر النازل من سماء التلوث

الكبير لشفاء الأمراض؟ أشك بذلك أن يحصل في معظم مناطق العالم.

ينبغي أن نعرف كيف ينبغي أن يكون وضع النبات من حولنا في تأمين الثمار في وقتها وفي تلطيف الأجواء والمناخ وتكثير المطر وتكميل التربة وتخصيبها وإخراج أفضل الثمرات للصحّة والعافية والقوّة وتسهيل العيش. فلماذا نضطر لتخريب التربة والقضاء عليها من أجل بناء بيوتنا في حين أنّ في بعض أنواع الأشجار والنباتات إمكانات هائلة لتأمين المسكن اللائق الصحّي المريح صيفًا وشتاءً؟!

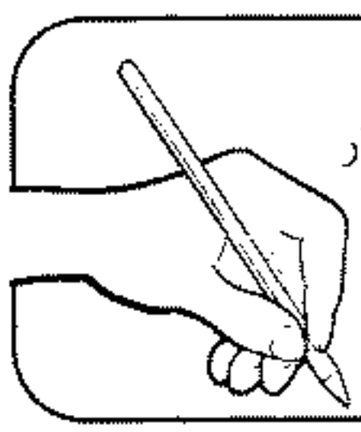

انظر عبر الخارطة الجوية إلى الكسّارات ومقالع الأحجار في لبنان وتأمّل في حجم الخراب البيئي الفادح.

إنّ عالم اليوم لا يعاني من مختلف أشكال البشاعة فحسب، بل يسير نحو الكارثة بسرعة غير متصوّرة، فأينما جلت ستجد فساد الطبيعة والبيئة وتعقيد الحياة وتراجع الطيّبات، وستجد أنّ هذا الفساد يزداد يومًا بعد يوم، وتزداد معه معاناة البشرية ازديادًا كبيرًا.

إنّ الأمـر لا يرجـع إلى تزايـد عـدد سـكان العـالم، لأنّ الإنسـان بأصلـه محـبّ للطبيعـة ويمكـن أن يرعاهـا ويصلحهـا ويزيـد مـن إنتاجيّتهـا، ولأنّ الطبيعـة مـا زالـت تحمـل الكثـير مـن الإمكانـات غـير المسـتثمرة وغـير المفعّلـة؛ إنّمـا تكمـن المشـكلة في انحـراف البـشر عـن هـذا الأصـل وسـلوكهم طريـق التخريـب لأنّهـم لا يـرون سـبيلًا آخـر للعيـش!

فما الذي جرى حتى وصل الناس إلى هذه الرؤية؟

ومـا الـذي يدفـع البـشر إلى التعامـل الأحمـق مـع الطبيعـة، فيخرّبونهـا بـدل أن يصلحوهـا؟

في العـام 2007، تضمنـت اللائحـة 16306 نوعـاً مـن النباتـات والحيوانـات في خطـر الانقـراض ـ وهـو رقـم أعـلى بـ 50% مـن ذاك الـذي كان في العـام 1995.

ولمـاذا ينقلـب الإنسـان في أكـثر الأحيـان عـلى الأم التـي أولدتـه وحضنتـه؟

أسباب المشكلة الكبرى

لقد تبيّن لنا أنّ أكثر المشاكل النفسية والفكرية ترجع إلى سوء البيئة والمحيط الطبيعي وما تحمله هذه المشكلة من قلّة الموارد وضيق المعيشة، وهذان الأمران معًا يتسبّبان في معظم الجرائم التي تحدث في العالم، فإذا اجتمع الفقر والكفر تولّد الفساد العظيم.

إنّ الاستهلاك الخاطئ لموارد الطبيعة يقلّل من مواردها، وقلّة الموارد تدفع الكثير من الناس إلى تخريب الطبيعة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها". وحين يعمّ الخراب في الطبيعة، ينعدم جمالها أو تغلب البشاعة عليها (قلّة الأزهار والنسائم الطيّبة والعطرة ولطف المناخ و..). وحين تكون الطّبيعة بشعة، تسري البشاعة إلى النفوس، وتصبح بعيدة عن اللطف والجمال وغير قادرة على ملاحظة الكثير

مــن مظاهــر الجــمال الإلهــيّ، وحــين لا تكــون علاقــة الإنســان بربّــه علاقــة المؤمــن بالجميــل، فــلا يكــون الإيمــان مصنــع الشــخصية الطيبــة المتكاملــة المصلحــة. وحــين يضعــف الإيمــان باللّــه الجميــل العطــوف، تقســو القلــوب وتتّجــه نحــو العــدوان والظلــم والكراهيــة. وفي ظــلّ ذلــك كلّــه تتفــشّى الجريمــة وتســتعر نيران الحــروب وتُســفك الدمــاء ويعيــث الفســاد في الأرض.

إذًا، ينبغــي أن نرجــع إلى نقطــة البدايــة، أي إلى الإسراف في اســتهلاك مــوارد الطّبيعــة، فــما الــذي أدّى إلى هــذه النزعــة السيّئة؟

إنّ الإجابــة عــن هــذا الســؤال كــما تقــدّم يمكــن أن تســاهم مســاهمة كبــيرة في هدايتنــا إلى معرفــة الحــلّ. فقــد عرفنــا المشــكلة الأساســيّة التــي تتســبّب بــكل أنــواع المعانــاة في العــالم. فهــل يمكــن أن نعــرف مــن أيــن نشــأت هــذه المشــكلة؟

وفــق الرؤيــة الإســلامية التــي نســتنبطها مــن القــرآن لم يــترك اللّــه تعــالى عبــاده مــن دون أن يهديهــم إلى مــا فيــه صلاحهــم وســعادتهم، ولهــذا كان الأنبيــاء هــم أوّل مــن افتتــح قافلــة البشريــة، وكانــوا يحملــون العلــم النافــع الــذي يهــدي النــاس إلى كيفيّــة التّعامــل الســليم مــع

كائنـات العـالم ومـوارده، وهـذا مـا نلاحظـه بشـكلٍ كبـير في التشريعـات الإســلامية التــي تنظّــم علاقتنــا بــكلّ شيء مــن بــشر وحجــر وشــجر وغيرهــا.

مـا يعنـي أنّ المشـكلة لم تكـن يومًـا في عـدم إمكانيـة معرفـة كيفيّـة الاسـتفادة المُثـلى مـن الطّبيعـة ومواردهـا، بـل في الرغبـة والتـصرّف. ولهـذا ذكـر اللّـه تعـالى أنّـه لـو آمـن النـاس بذلـك العلـم الإلهـيّ وعملوا عـلى أساسـه لأكلـوا مـن طيّبـات السـماء وخـيرات الأرض:

﴿وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُـرى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لَفَتَحْنـا عَلَيْهِـمْ بَـرَكاتٍ مِـنَ السَّماءِ وَالْأَرْض﴾[15].

﴿وَلَـوْ أَنَّهُـمْ أَقامُـوا التَّـوْراةَ وَالْإِنْجيـلَ وَمـا أُنْـزِلَ إِلَيْهِـمْ مِـنْ رَبِّهِـمْ لَأَكَلُـوا مِـنْ فَوْقِهِـمْ وَمِـنْ تَحْـتِ أَرْجُلِهِـم﴾[16].

ومــن الطّبيعــيّ أنّــه إذا رفــض النّــاس الأنبيــاء ونهجهــم وأعرضــوا عــن الإســلام وبرنامجــه، فســوف يختفــي هــذا العلــم مــن بينهــم حتّــى يقـول قائلهـم لا يوجـد علـم سـماويّ يتعلّـق بالطّبيعـة ولا بالاقتصـاد ولا بالتّعامـل مـع الكائنـات الحيّـة.

تصــوّر إنّ ورثــة علــم الأنبيــاء والمرســلين كانــوا يتعرّضــون للعــزل

والتهجـير والمحـاصرة والقتـل والتشريـد لأكـثر مـن مائتـي سـنة، فهـل سـيتمكّنون مـن نـشر علـم الأنبيـاء؟ وبعـد ذلـك سـيقول جاهـل غافـل إنّنـا لا نعلـم أنّ الإسـلام يهتـم بالبيئـة وبنـاء المجتمعـات وسياسـتها!

تحـكي لنـا تجـارب الأمـم وخصوصًـا مـا جـرى مـع التجربـة النبويّـة الأخـيرة أنّ النـاس أعرضـوا عـن التعاليـم الإلهيـة والعلـوم الربّانيّـة ولم يسـلكوا طريـق علـم الكتـاب والحكمـة. فقـد جـاء رسـول اللّـه صـلى اللّـه عليـه وآلـه ليتلـو عـلى النـاس آيـات اللّـه ويزكيهـم ويعلمهـم الكتـاب والحكمـة، لكنّهـم اسـتبدلوا هـذا الطريـق بطريـق الحـكّام الظّالمـين وتولّوهـم واتّبعوهـم بـل افتخـروا بمـا كان هـؤلاء الحـكّام يأتونهـم بـه مـن علـم مـن خـارج الكتـاب.

بماذا يتميز الإمام المهدي عجل الله فرجه

بصبرد العظيم طيلة أكثر من ألف سنة وهو يحمل العلم الذي ينقذ البشرية ويصلح الأرض لأجل أن يجد الذين يحملونه ويطبّقونه بكل أمانة.

وقـد انقسـم المجتمـع الإسـلاميّ بعـد رسـول اللّـه (ص) إلى فئتـين. فئـة تريـد الدنيـا وفئـة تريـد علـم الكتـاب. وكانـت الفئـة الثانيـة قليلـة إلى الدرجـة التـي جعلـت الإمـام عليًـا عليـه السـلام ينـادي، حـين أصبـح

أمير المؤمنين، ويطلب من الناس مترجّيًا أن يأتوا ويسألوه ويأخذوا من علمه، لكنّه لم يسمع جواب ذلك النداء.

خمسٌ وعشرون سنة كانت سببًا لغلبة تيّار حبّ الدنيا والاهتمام بجمع الثروة في المجتمع، الذي كان يُفترض أن يكون حاملًا للقرآن ينشر علمه في كلّ الآفاق.

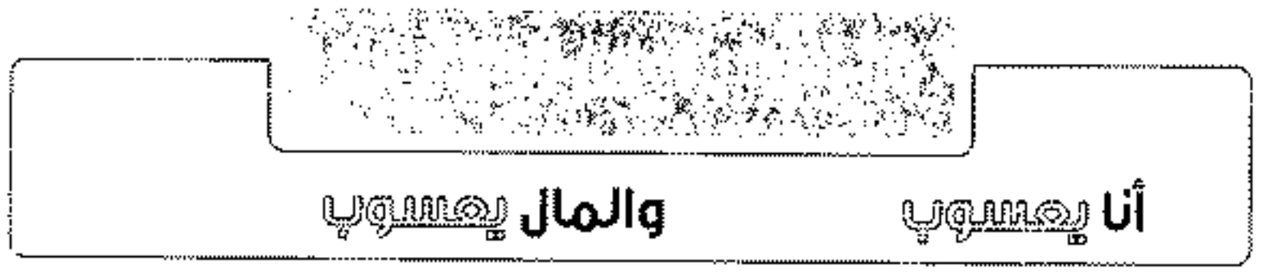

خمسٌ وعشرون سنة أدّت إلى أن يصبح حامل علم النبيّ وباب مدينة علم اللّه غريبًا منبوذًا لا يهتم بعلمه إلّا عدد قليل من الموالين الذين لا يقدرون على تغيير الأمور.

خمسٌ وعشرون سنة أسّست لانحراف مئات السنين، الممتزجة بالعصبية والكراهية والجهل؛فاختفى العلم وانزوى، ولم يعد للتقوى والعمل الصالح من علَمٍ واضح، إلّا من رحم اللّه.

لقد تغلّب تيار الدنيا والمال على الأمّة الإسلامية فاتّبعت مَن حمل شعار المال وتكديس الثروة.

ثمّ صار الأمر بعد مدّة من الزّمن أنّ الناس بين رافض للأوضاع

السـيّئة وقابـل بهـا. فالرافضـون أكـثر مـن الراضـين. لكـن ليـس بيـد الرافضـين علـمٌ يُحتـذى بـه، فـإذا انتـصروا عـلى أتبـاع المـال، صـاروا مثلهـم بعـد حـين، والسـبب أنّ الذيـن رفعـوا شـعار اتّبعونـا نُعطِكـم ثـروةً ومـالًا لا يمكـن أن يلتزمـوا بهـذا الشـعار، لأنّ حـبّ المـال يجلـب للإنسـان الحـرص والجشـع. فـإذا كان الحاكـم يـرى أنّ حكمـه وسـلطانه قـد حصـل بسـبب المـال، فهـل يمكـن أن يعطـي مـن مالـه؟

هل وجدت سلطانًا محبًّا للجاه والرئاسة يعطي من سلطته؟!

فـلا يعطـي السـلاطين ـ إن أعطـوا ـ إلا مـا يزيـد مـن مالهـم وسـلطانهم، ولا يـزدادون بذلـك إلا ثـروة. وهكـذا تنحـصر الأمـوال والـثروات في يـد الطبقـة الحاكمـة ليكتشـف الذيـن اتّبعوهـم أنّهـم أصبحـوا أكـثر فقـرًا وعـوزًا، فيسـخطون ويـزداد سـخطهم حتّـى يثـوروا وينقلبـوا عـلى حكّامهـم؛ وربّمـا يصـل بعـض الفقـراء السـاخطين إلى السـلطة، فهـل سـيقدرون عـلى حـل مشـكلة الفقـر والفقـراء؟

فأيـن العلـم الـذي رفضـوه، وبسـبب رفضهـم لـه افتقـروا؟! هـل سـيعترفون للّـه أنّهـم كانـوا أحـد أهـم الأسـباب التـي أدّت إلى انـزواء العلـم وأهلـه؟

لا يبـدو أنّ هـذا الأمـر قـد حصـل لحـدّ اليـوم. ولا يبـدو أنّ البـشر قـد اكتشـفوا أصـل المشـكلة، وهنـا تكمـن القضيـة.

إنّ التقـوى اليـوم تعنـي أن نعـترف بأنّنـا قـد سـاهمنا في عزلـة العالِم الحقيقـيّ الـذي يعـرف البرنامـج الصحيـح للتّعامـل مـع الطبيعـة. ولـكي نحقّـق هـذه التقـوى يجـب أن نذعـن ونعـترف بأنّنـا مـا زلنـا سـببًا في غيبـة هـذا العالِـم الـذي يمكـن أن يدلّنـا عـلى مصـادر الخـيرات والـبركات. وحـين ينتـشر هـذا الإيمـان وتعـم هـذه التقـوى، فسـوف يأمر اللّـه تعـالى وليّـه وارث علـوم الأنبيـاء والمرسـلين بالخـروج إلى النـاس، لأنّ النـاس لـن يسـاهموا هـذه المـرّة في قتلـه وتشريـده وعزلتـه، كـما حصـل مـع آبائـه الطاهريـن.

مـا تحتـاج إليـه البشريـة اليـوم لحـلّ مشـاكلها كلّهـا هـو ذلـك العلـم الإلهـي النافـع، لكـن لتحصـل عليـه يجـب أن تمهّـد لـه بالإيمـان والتقـوى.

في الظاهـر تبـدو المشـكلة بعـدم وجـود العلـم الـذي يدلّنـا عـلى التعامـل السـليم مـع مـوارد الطبيعـة لحـلّ مشـاكل الفقـر؛ فأينـما جلـت سـواء في الحـوزات الدينيـة أو الجامعـات الأكاديميـة لا تجـد

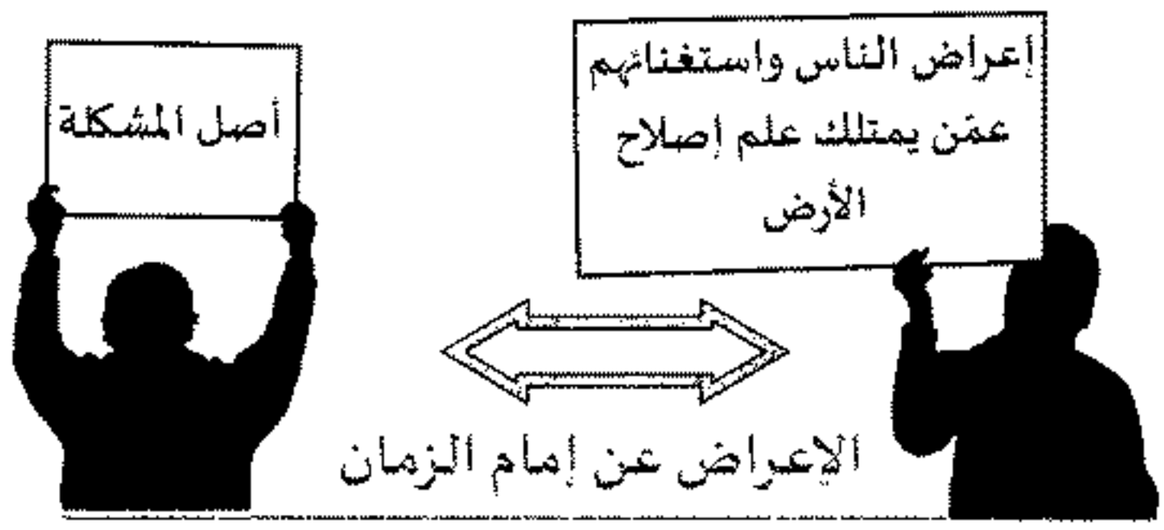

أطروحة واضحة لحل مشكلة الفقر المحلّي والعالمي، وفي أحسن الأحوال ستسمع عن تفاصيل المشكلة أو تقرأ بعض الملاحظات العامّة والخطوط الكلية. لكنّك إذا كنت تعرف كيف يعامل اللّه خلقه وتعرف معنى خطّ الأنبياء وسر وجودهم في الحياة البشرية فسوف تقول بأنّ العلم المطلوب موجود لكنّنا نجهل أين هو أو لا نعرف كيف نصل إليه.

وبحسب الرؤية الدينيّة لا تخلو الأرض من شخص يحمل العِلم الهادي الذي يدلّنا على منبع الخيرات، ولا بدّ من وجوده في كلّ زمان، وعلينا أن نتعرّف إليه ونتّصل به؛ والخطوة الأولى في هذا المجال هي أن نعترف بحاجتنا إليه. وما دمنا نجهل هذه القضية، ونظن أنّ اللّه تعالى قد أوكل إلينا اكتشاف هذا العلم بأنفسنا، فلا يمكن أن نهتدي إليه أبدًا. وذلك لأنّ القضية ليست قضيّة علم

فقـط، بـل إنّهـا قضيـة قيـادة مجتمـع وسياسـة أمّـة.

لـو كانـت المسـألة في العِلـم فقـط لـكان اللّـه ينـزل هـذا العلـم، ويـدع النـاس يطبّقونـه.

إنّ علـم إصـلاح الأرض واسـتخراج ثرواتهـا يمتـزج بالعلـم الـذي يهـدي النـاس إلى السـعادة المعنويـة والحيـاة الروحيـة، وهـذان الأمـران موقوفـان عـلى بسـط العـدل واسـتقراره في المجتمـع؛ لأنّ أي ظلـم في

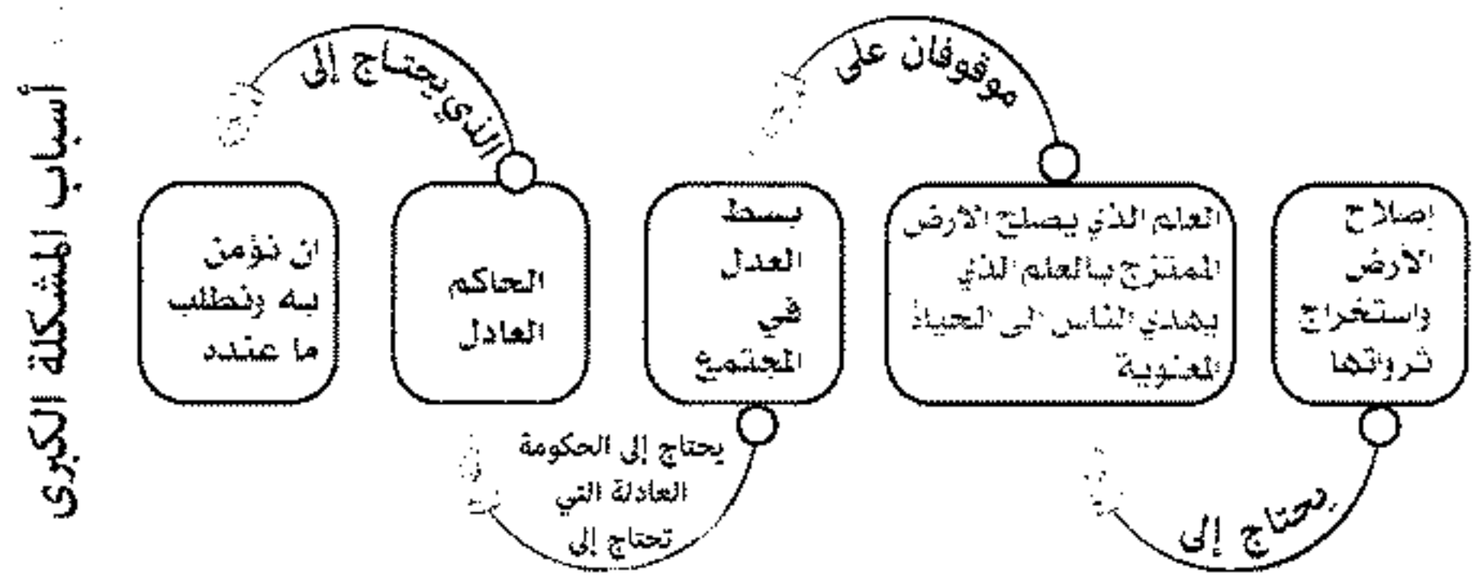

المجتمـع سـيؤدّي إلى انحصـار الـثروة بيـد فئـة خاصّـة، وهـذه الفئـة سرعـان مـا ستسـتأثر بالسـلطة ـ كـما حصـل في التاريـخ الإسـلامي وفي كل تواريـخ الأمـم ـ وحـين تسـتأثر فئـة قليلـة بالسـلطة والحكـم، فسـوف تقـضي عـلى الحيـاة المعنويـة.

إنّ الحيـاة المعنويـة لا تقـوم إلّا عـلى العلـم وانبعـاث النـاس نحـو طلبه، وهـذه الحركـة العامّـة مشروطـة بالحرية. لكنّ سـلاطين الجـور لا يمكنهم أن

يمنحوا الشعوب حريّتها إلا بالمقدار الذي لا يهدّد سلطاتهم.

كي يسمو النّاس في آفاق المعنويّات يجب أن يصبح طلب العلم عندهم أمرًا محوريًّا، بمعنى أن يكون همّهم الأكبر. وحين يصبح العلم النافع أساس الأنشطة العامّة في المجتمع، فسوف تُفتضح تلك الفئة المسيطرة، لأنّ الناس سيكتشفون كيف وصلت هذه الفئة إلى السلطة من خلال ظلمهم. ولا يمكن أن يقبل الناس بأن يُظلموا.

حين يكتشف الناس ذلك العلم الذي يدلّهم على استثمار ثروات الأرض واستخراج خيراتها بالصورة الصحيحة، فإنّهم سيعلمون أنّ ذلك الاستثمار

والاستخراج الكبير لا يحصل إلا من خلال إقامة المجتمع العادل. ولا يمكن إقامة مجتمعٍ عادل إلا بحكومة عادلة. والحكومة العادلة هي التي تشجّع على السعي نحو الفضائل وتجعل ذلك أساس برامجها.

فلاحـظ كيـف أنّ القضـاء عـلى الفقـر وتحقيـق الازدهـار السـليم متوقّـف عـلى حكومة العـدل، مثلـما أنّـه موقـوف عـلى العِلـم. ولهـذا يجـب أن يبـدأ الحـل بوجـود الحاكـم العالِـم الـذي يقـدر عـلى إقامـة العـدل. ولا يقـدر عـلى ذلـك إلّا مـن كان مهذّبًـا خارجًـا مـن اتّبـاع الهـوى، ومثـل هـذا الشـخص، الـذي يجمـع بـين العلـم والعـدل، كان ولا يـزال موجـودًا، ولم تخـلُ الأرض منـه، لأنّ اللّـه تعـالى أراد الخـير للبشريـة.

وإذا أردنـا أن يصبـح هـذا الشـخص حاكـمًا علينـا، ينبغـي أن نؤمـن بـه ونطلـب مـا عنـده.

فهل هذا هو واقعنا اليوم؟

أنـت تعلـم أنّ أغلـب البـشر لا يعرفـون بوجـود هـذا الشـخص ولا يؤمنـون بوجـوده. ولكـن مـاذا عـن الفئـة التـي تدّعـي أنهـا تعرفـه بالاسـم؟ ومـا هـو دورهـا لـكي تجعـل بقيـة النـاس يؤمنـون؟

دور الممهدين الواقعيّين

إنّ كل من يعمل على إقناع الناس بوجود هذا الإنسان العالِم العادل فهو ممهّدٌ واقعيّ، وعمله هذا سيؤدّي إلى ظهوره في النهاية، لأن مشكلة أكثرية البشر هي أنّهم يجهلون ـ وقد عرفنا كيف وصلوا إلى هذا الجهل. ولكن المعرفة لوحدها لا تكفي بل تحتاج إلى الإيمان، فالإيمان هو الذي يجعل الناس راغبين وقادرين على حماية ودعم هذا الإنسان فيما إذا خرج.

ولكي يؤمن الناس فإنّهم يحتاجون إلى أحد أمرين:

- **الأوّل: الفكر السليم.**
- **والثاني: التجربة المقنعة.**

فبواسطة الفكر السليم يمكن أن تثبت لهم أنّ اللّه تعالى لا يمكن أن يترك الناس من دون هداية. وأنّ كل الشواهد تدل على

عجـز النـاس عـن اكتشـاف الحـل بأنفسـهم. وأنّ اللّـه قـد أرسـل الأنبيـاء في السـابق، فـلا يعجـزه أن يجعـل الأوصيـاء مـن بعدهـم.

وبمـا أنّ أكـثر النـاس لا يعقلـون، ولا يلجـأون إلى المنطـق العقـلي لتحليـل المشـاكل واكتشـاف الحلـول، فـإنّ هـذا الأسـلوب لا ينفـع سـوى القلّـة القليلـة منهـم. وأمّـا الأغلبيـة السـاحقة فإنّهـا عـلى مـا يبـدو بحاجـة إلى مشـاهدة نمـوذج ـ ولـو مصغّـر ـ لهـذا الادّعـاء؛ كأن تـرى مـدى تأثـير العِلـم الإسـلامي والعدالـة الإسـلامية في تحقيـق الازدهـار في منطقـة جغرافيـة محـدّدة أو بقعـة مـن الأرض، حينهـا سـتبدأ بالمقارنـة بين هـذه التجربـة وغيرهـا مـن التجـارب الماديـة والإلحاديـة والتجريبية الحسـية، لتكتشـف الفـارق الكبـير بينهـما، وتبـدأ بالمطالبـة بتقليـد هـذه التجربـة الإسـلامية؛ وقـد يكـون هـذا الأمـر عامـلًا للضغـط عـلى الطبقـات الحاكمـة والنخبـة العلميـة في البـلاد التـي تـرزح تحـت بـؤس التجـارب الخاطئـة. وفي ظـلّ مثـل هـذه الضغـوط قـد تتوجّـه العقـول نحـو قـراءة التجربـة الإسـلامية التـي اتّصلـت بذلـك الإنسـان العظيـم.

مـن الطبيعـي أن يقـوم هـذا العالِـم الإلهـي العـادل بتأييـد وقيـادة هـذه التجربـة المصغّـرة فيـما لـو وفّـر لـه أهلهـا كل متطلّبـات النجـاح

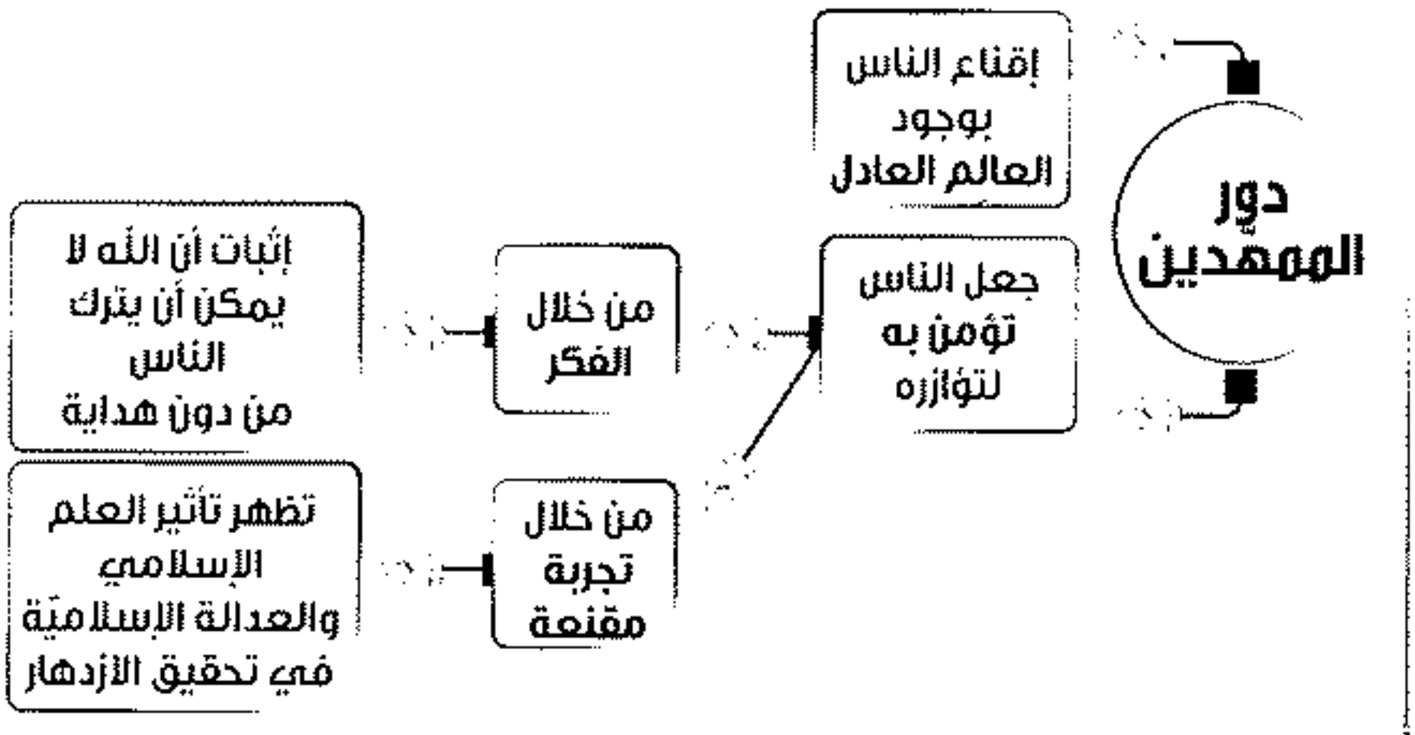

من الإيمان والتقوى؛ الإيمان الذين يجعلهم مستعدّين للمضيّ معه مهما كلّف الأمر، والتقوى التي تعني الصبر والتحمّل.

فلا ننسى أنّ هذه التجربة حين تبدأ ستواجه الكثير من المعارضة الداخلية والخارجية. وسوف تكون عرضة لكل أشكال العدوان والضغوط. فمن الخارج الحروب والتهديد بالقتل والحصار والتجويع. ومن الداخل التشكيك والضعف والهوان وطلب الدنيا. ومثلما أنّ الضغوط الخارجية تحتاج إلى إيمان وتقوى، فإنّ الضغوط الداخلية ستتطلّب أضعاف هذه التقوى والإيمان، لأنّ نجاح التجربة في الداخل يحتاج إلى مجموعة من الصفات والخصائص التي سنتحدّث عنها إن شاء اللّه.

لنفرض أنّ هذا الإمام قد خرج في هذه البقعة الجغرافية. فما

الـذي سـيدعو إليـه؟

إنّــه إمــام مــن اللّــه، وعليــه فــإنّ دعوتــه ســتكون ممتزجــة بالمعنويّـات، أي أنّـه سيدعو النـاس إلى عبـادة اللّـه وطاعتـه وإلى السـير نحـو المعنويـات، لأنّ عبـادة اللّـه تسـتلزم الطهـارة والتقـوى والزهـد والروحانيـة. فهـو لـن يخـدع النـاس ويعدهـم بالازدهـار المـادّي بعيـدًا عـن المعنويّـات، لأنّ الازدهـار المـاديّ مـشروطٌ بالتكامـل المعنـويّ. ولا يمكـن أن يحقّـق المجتمـع الازدهـار المـادّي ويقـضي عـلى الفقـر إلاّ في ظـلّ ازدهـار المعنويـات؛ أي أنّ الفقـر والحرمـان لا يـزولان وينعدمـان مــن خــلال البرامــج الاقتصاديــة البحتــة، بــل يجــب أن تكــون هــذه البرامـج الاقتصاديـة نابعـة مـن القيـم المعنويـة وممتزجـة بهـا. وقـد أثبتـت تجـارب البـشر أنّـه لا يمكـن لأي برنامـج إداري أو اقتصـادي أن ينجـح إذا عزلنـاه عـن الأمانـة والكفـاءة والتقـوى والنزاهـة والنظـام والوفـاء والصـدق.

الأئمّـة الإلهيّـون لا يخدعـون النـاس، لأنّهـم أمنـاء عليهـم عنـد اللّـه. ولـكي تزدهـر المعنويـات يجـب تحقيـق أمـر أسـاسيّ في المجتمـع وهـو العـدل الاجتماعـي. فالعدالـة هـي القاعـدة التـي تنمـو عليهـا جميـع

الفضائـل وتترعـرع، وهـي الأرضيـة الخصبـة التـي تُنبـت تلـك الشـجرة الباسـقة لـكل المعنويـات والقيـم الجميلـة.

ولـكي يتحقّـق العـدل الاجتماعـي يجـب أن يتخـلّى النـاس عـن المحسـوبيات والعصبيـات والمحابـاة والتحزّبـات، وأن ينشـدوا الحريـة ولا يقبلـوا أن يكونـوا أزلامًـا لفـلان أو فـلان وإن كان ذلـك يهـدّد مصالحهـم الشـخصية ومعيشـتهم.

إنّ العديـد مـن المتحزّبين المتعصّبين للشـخصيات، يضعـون مبرّرات واهيـة لتعصّبهـم. فبعضهـم يقـول هـذا رجـل عالِـم وخبـير، لكنّهـم لا يعرفـون عـن علمـه شـيئًا، وبعضهـم يقـول هـذا رجـل ذو سـابقة طويلـة في الجهـاد والنضـال؛ وبهـذه المـبرّرات يقنعـون الجاهلـين الغافلـين فيتّبعونهـم ظنًّـا منهـم أنّهـم يقولـون حقًـا.

فالفئـة الأولى هـي فئـة الخـواص التـي تعلـم الحقيقـة لكـن مصالحهـا التـي تربطهـا بهـذا الزعيـم تحجبهـا عـن قولهـا.

والفئـة الثانيـة هـي فئـة العوام الذيـن صدّقوا فئـة الخـواص. وهكذا تصبح فئـة العـوام سـببًا لتقويـة الزعيـم الـذي سـيفرض شروطـه ويفـرض برامجـه الخاصّـة ويفـرض الأشـخاص الذيـن يدينـون لـه بالـولاء في المراكـز الحساسّـة.

ولأنّ العـدل الاجتماعـي يعنـي وضـع الرجـل الكفـوء الجديـر في المـكان المناسـب لمؤهّلاتـه وكفاءاتـه، فسـوف يصطـدم ذلـك التحـزّب مـع العـدل لا محالـة. ومـع بقـاء العـوام في تأييدهـم الأعمـى، سيبقى الزعيـم قويًـا مانعًـا مـن تحقّـق العـدل. فيـا لهـا مـن دورة خبيثـة.

لكن لكلّ دائرة شيطانية حل ومخرج.

ولعلّـك فهمـت أنّ الحـل يكـون بسـحب العـوام مـن تحـت سـلطة ذلـك الزعيـم الـذي يفـرض اتّباعـه لضـمان مصالحـه، وأنّ ذلـك يسـتلزم توعيتهـم لـكي يدركـوا أنّ الخـواص قـد اسـتغلّوا جهلهـم بالمعايـير والـشروط الصحيحـة للكفـاءة.

حـين يصبـح الشـعب كتلـة واحـدة مطالبـة بالعدالـة، لا يمكـن لأي قـوّة أن تمنـع مـن تحقّـق العدالـة. ولأجـل ذلـك، ينبغـي أن ينتـشر الوعـي العـام بشـأن شروط الكفـاءة ومعاييرهـا، كيـلا يتمكّـن أي زعيـم وأتباعـه مـن خـداع النـاس.

وحـين يتحـرك المجتمـع نحـو إقامـة العـدل، ويضـع الشـخص المناسـب في المـكان المناسـب، تتحـرك عجلـة الإدارة تحـركًا صحيحًـا، فيتـم اسـتثمار الطبيعـة واسـتعمال مواردهـا بالنحـو الـذي يـؤدّي إلى الازدهـار العظيم. وفي

ظـلّ الازدهـار العظيـم يتمتّـع الشـعب بالإمكانـات الهائلـة التـي تمكّنه من بنـاء قوّاتـه العسـكرية وقدراتـه الأمنيـة التـي تجعلـه قـوّة لا تُقهـر.

وقـد أثبتـت التجـارب الحديثـة أنّ في الأرض مـن الإمكانـات والمـوارد مـا يعطـي أعظـم القـدرات التقنيـة والدفاعيـة التـي يسـتحيل معهـا لأي قـوّة عظمـى أن تجـرؤ عـلى مواجهـة المجتمـع الـذي يتمتّـع بهـا. وكل مـا ينبغـي أن يحصـل هـو أن يتوجّـه أبنـاء المجتمـع نحـو تفعيـل هـذه المـوارد

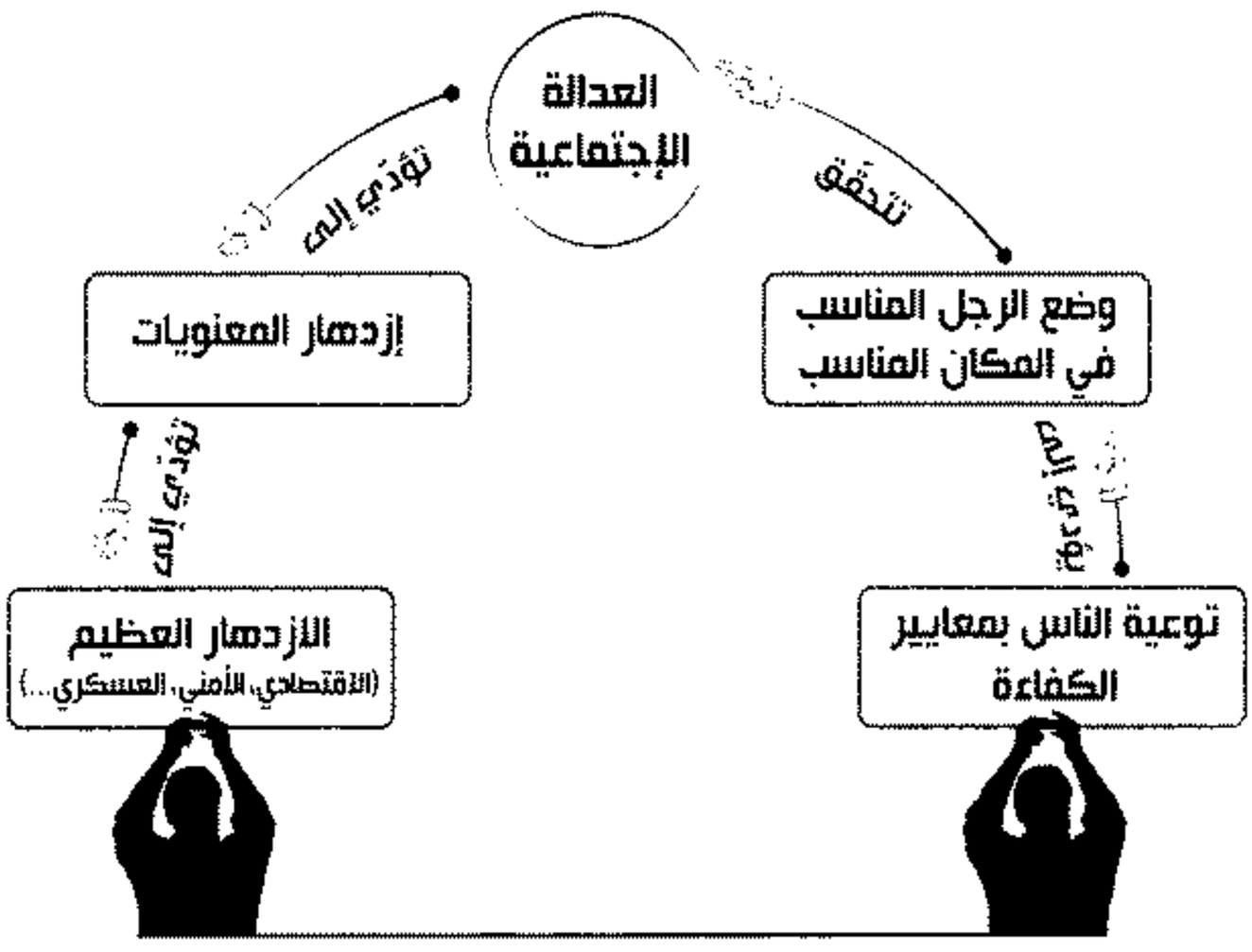

واسـتخراج تلـك الـثروات مـن خـلال الإدارة السـليمة والتدبـير الحكيـم.

ولا يمكـن أن تقـوم الإدارة السـليمة ولا يمكـن أن تنـزل الحكمـة عـلى قـوم إلا إذا عَدَلـوا فيـما بينهـم واسـتخدموا الأكفـاء في أمورهـم.

ففي ظلّ العدل تكثر البركات وتعمّ الخيرات وتبلغ المجتمعات أعلى مراتب الازدهار.
وفي ظل الازدهار الكبير، تتمكّن المجتمعات من بناء القدرات العظيمة.

من أين يبدأ الحل؟

لعلّـك التفـتّ إلى أنّ المشـكلة الأساسـية تكمـن في جهـل العـوام الذيـن يتـم اسـتغلال جهلهـم مـن قبـل أتبـاع الزعـماء الذيـن يمنعـون إقامـة العـدل. فالعـوام لا يريـدون الـشر وإن تسـبّبوا بـه. فـإذا اسـتطعنا أن ننـشر الوعـي بينهـم، اكتشـفوا زيـف الخـواص الذيـن لهـم تسـمية قرآنيـة واضحـة هـي "المـلأ".

فكيف يمكن نشر هذا الوعي؟

إنّ لهذا الوعي مفردات وتفاصيل. وله مقدّمات ذهنية ونفسية.

ورغـم أنّ الوعـي بالقضيـة وفهمهـا أمـرٌ غير معقّـد، لكنّه في هـذا العصر بـات يتطلّـب العديـد مـن المفاهيـم والقناعـات. فقـد انـصرف أكـثر النـاس عـن مثـل هـذه القضية الحسّاسـة، وصـار تفكيرهـم بعيـدًا عنها.

إنّ النـاس يتألّمـون ويعانـون لكنّهـم لا يعرفـون حقيقـة معاناتهـم، ولا يدركـون أسـبابها، وفـوق ذلـك يظنّـون أنّ الحـل في مـكانٍ آخـر. وإنّ قسـمًا كبـيرًا مـن معاناة النـاس يرجـع إلى عـدم وضـوح الحيـاة الطيّبـة لهـم، وكيـف يمكـن أن تتحقّـق.

فأغلـب النـاس يظنّـون أنّ مشـاكلهم تُحـل مـن خـلال تحسـين أوضاعهـم المعيشـية وتوفـير المزيـد مـن المـال، في حـين أنّ أكثر صعوبات الحيـاة ومشـاكلها ترجـع إلى نمـط عيشـهم وطريقـة تدبـير المـوارد التـي يحصلـون عليهـا أو يتولّـون إدارتهـا.

والكثـير مـن النـاس يظنّـون أنّ اتّبـاع الغربيـين في طريقـة عيشـهم سـيمنحهم السـعادة، فهـم يتطلّعـون إلى أنمـوذج أثبـت فشـله وفسـاده.

والكثـير مـن النـاس يظنّـون أنّ مشـكلتهم تكمن في عدم تقليـد الغربيين بطريقـة صحيحـة، فهـم يعتقـدون أنّ الغربيـين يمتلكـون العلـوم النافعة في الوقـت الـذي لا يحسـنون اسـتخدامها، وأنّ علينـا أن نتّبعهـم في العلـم لا في العمـل؛ وأنّنـا إذا درسـنا الفيزيـاء والكيميـاء والطـب والهندسـة والعلـوم الحاسـوبية وغيرهـا، فسـوف نتمكّـن مـن بنـاء مجتمـعٍ متقـدّم عزيـز.

ولـكي يخـرج النـاس مـن هـذه الأوهـام نحتـاج إلى تعريفهـم إلى

حقيقة المسيرة العلمية في الحضارة الغربية وما أنتجته من كارثة بيئية وعالمية واجتماعية ونفسية، وأنّ القضية ليست فقط في فساد أخلاقهم أو نمط عيشهم، بل في علومهم التي لا يمكن أن تهدي إلى معرفة إصلاح الأرض واستخراج خيراتها والقضاء على الفقر.

إنّ الغربيين أنفسهم باتوا يعترفون بعجزهم عن حل هذه المشاكل، واعترافهم هذا موجود في علومهم أكثر ممّا هو موجود في تصريحات سياسيّيهم وزعمائهم.

فكيف يمكن أن نصنع الوعي في مجتمع يدرس أبناؤه العلوم الغربيّة بكل فخر واعتزاز، ويرون أن تقدّم شعبهم سيحصل في ظلّ هذه العلوم؟

وكيف يمكن أن نصنع الوعي في مجتمع لا يعرف أبناؤه الفارق بين العلم الإلهيّ والعلم الوهميّ؟

وكيف يمكن أن نصنع الوعي في مجتمع أغلب أبنائه لا يلتفتون إلى العلاقة بين العدالة والازدهار، ولا يدركون كيفية تحقّق العدالة بالرغم من معاناتهم ورفضهم الشديد للظلم؟

وهل يمكن لمجتمعنا أن ينهض من بين ركام الماضي والتاريخ وهو لم يعرف حقيقة ما جرى، وكيف وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه؟

قراءة التاريخ تساعدنا

لنا أن نسأل: لماذا اختفى مبدأ العدل أو انزوى من بين الذين يدّعون أنهم يريدون نشر العدل في كلّ العالم؟ وكيف يمكن أن نستعيد هذا المبدأ ونضعه في صلب قضية تغيير العالم؟

لماذا لا تجد في العالم كلّه جماعة واحدة قد جعلت العدل أساس عملها، فتدعو إليه في الليل والنهار؟

لكي نجيب عن هذا السؤال وما يتفرّع منه، نحتاج إلى قراءة تاريخ العدل في الأمّة الإسلامية التي هي أقرب الأمم إلى ذلك الإمام العادل.

ولكي نقرأ تاريخ العدل نحتاج إلى فهم العدل جيّدًا. فالكثير من الناس لا يعرفون العدل إلاّ بطريقة سلبية وهي أنّه عبارة عن انتفاء الظلم، في حين أنّ العدل إنّما ينفي الظلم بتحقّقه. ولأنّ

حديثنا عـن المجتمعـات فـلا بـدّ أن نعـرف مـا هـو العـدل الاجتماعـي.

إنّ العــدل في المجتمـع يعنــي وضــع الشــخص بحســب كفاءتــه (التـي تشـمل علمـه وتقـواه وخبرتـه وتظهـر في إنجازاتـه). فلـكلّ موقـعٍ اجتماعـيّ متطلّبـات لـكي يُـدار بشـكلٍ صحيـح. فـإذا وضعنـا الأشـخاص الذيـن يحملـون هـذه المتطلّبات ويوفّرونهـا في كلّ المواقـع الاجتماعيـة، فسـوف تتحـرّك عجلـة الحيـاة الاجتماعيـة (في الاقتصـاد والأمـن والصحّـة والتعليـم و..) بطريقـة سـليمة؛ وهـذا مـا يـؤدّي إلى ارتقـاء إنتاجيـة هـذا المجتمـع وفعاليّتـه؛ والأهـم هـو مـا يتوفّـر مـن جـرّاء هـذه الحركـة السـليمة مـن أجـواء نفسـيّة هادئـة، تسـمح للجميـع بالبحـث الصـادق عـن الحقيقـة وعـن العلـم والحكمـة.

حـين يسـتتبّ العـدل لا يكـون الأقـل كفـاءة مـكان الأكثر كفـاءة، لأنّ العـدل سـيجعل قيمـة الكفـاءة أسـاس عملـه، وهـذا مـا يوفّـر للمجتمـع أعـلى درجـات القـوّة، لأنّ الكفـاءة تعنـي القـدرة، والقـدرة هـي التـي تجلـب الخير والنفـع حـين تُسـتعمل في محلّهـا.

المجتمــع العــادل لا يســمح بتجــاوز شرط الكفــاءة، لأنّــه ســيفقد معنــاه وهويّتـه.

ولأنّنا مسلمون نعتز بانتمائنا للإسلام، ونعتقد بأنّ هويتنا الاجتماعية قد صنعها الإسلام، فبمقدار ما نلتصق بالإسلام سنقوّي هويّتنا الاجتماعية وانسجامنا واتّحادنا. وكلّما قوي حضور الإسلام فينا ازددنا قوّة ومنعة وتقاربًا.

ما نحتاج إليه اليوم هو أن نكتشف المزيد من تعاليم الإسلام وننشرها في أوساطنا، ونزيل كل ما علق بالإسلام تحت عنوان الإسلام، وحينئذ سيتبيّن لنا أنّ هذا الدين هو عبارة عن مشروع كبير لتغيير العالم وإصلاح الأرض؛ وحين نلتصق بالإسلام بهذا الاعتبار، فسوف نحقّق أكبر اتّحاد وانسجام عرفته البشرية، أي أنّنا سنحقّق أقوى قوّة اجتماعية في التاريخ.

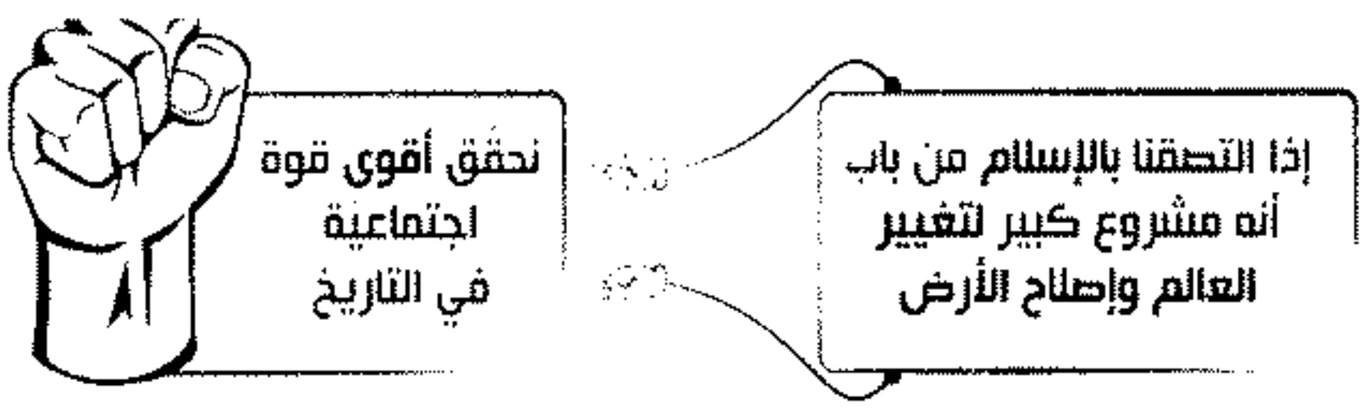

لقد عرفنا من الإسلام مجموعة من الأمور وطبّقناها فتحقّق بفضلها العديد من الأمور المحمودة. ولأنّنا تركنا الكثير من تعاليم الإسلام فقد عانينا وقاسينا وأُصبنا بالكثير من المصائب، وكانت أكبر

مصائبنا ناتجة من عدم وجود المشروع الإصلاحي العالمي الذي عرّفه اللّه لنا في كتابه تحت عنوان: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}،[10] أي أننا فقدنا روح الإسلام وعنوانه الأكبر من حياتنا كمسلمين. وقد بدأت هذه المصيبة منذ أن اعتقدت أغلبية المسلمين بأنّ الإسلام هو مجرّد طقوس وأحكام في الجهاد والصلاة والصوم. ولم يجدوا مشكلة في اتّباع أي شخص طالما أنّه لن يمنعهم من هذه الأمور، بل إنّهم سوف يقدّسونه ويعظّمونه إن هو قادهم فيها وحثّهم عليها، وبسبب ذلك لم يهتمّوا باتّباع ذلك العالِم الذي كان يعرف الإسلام كمشروعٍ رساليّ عالميّ، ويعرف ما فيه من تفاصيل ترتبط بهداية المجتمعات والتعامل مع الوقائع، وما هي الأولويات وكيف يمكن نشر التوحيد في كل العالم.

لقد أثبتت التجربة أنّ الذين تعاملوا مع الإسلام كمجرّد جهاد وقتال وصلاة وصوم ولم يعرفوا روحه، لم يتمكّنوا من تحقيق النجاح في حلّ مشاكل المجتمع الإسلامي، ولم يقدّموا النّموذج الذي يستقطب قلوب الشعوب الأخرى وأفئدتها.

ربّما ظنّ الكثيرون أنّ الإسلام دينٌ سطحيّ ينحصر في بعض

الاعتقـادات والأحـكام، وهـي أمـور يمكـن لأي شـخص أن يعرفهـا، وأنّ عليهـم أن يركّـزوا عـلى الشـخص المحنّـك صاحـب الأقدميـة والخـبرة والمقبوليـة؛ وحـين نظـر هـؤلاء إلى شـخص مثـل الإمـام عـليّ عليـه السـلام لم يجـدوا ضرورة في توليتـه مقاليـد المجتمـع المسـلم رغـم اعترافهـم لـه بأنّـه الأعلـم وبأنّـه يعـرف الكثـير مـن الحقائـق ومـن الأسرار. وهكـذا بـدأ الفصـل بـين روح الإسـلام وجوهـره مـن جهـة وبـين أحكامـه وتشريعاتـه مـن جهـةٍ أخـرى. وحـين اتّسـع الفصـل بـدأت تلـك الأحـكام نفسـها تفقـد روحهـا، وحـين فقـدت روحهـا لم تعـد قـادرة عـلى التأثـير كـما حصـل سـابقًا. وأنـت تعلـم كيـف يكـون حـال جسـدٍ بـلا روح بعـد مـدّة مـن الزمـن!

قـد لا يكـون المسـلم سـوى مسـلمًا بالظاهـر حـين لا يسـتمد لروحـه

مـن روح الإسـلام وجوهـره. وكان أوّل مـا اختفـى مـن روح الإسـلام وقيمـه السـامية وأهدافـه الكـبرى ودعوتـه الراقيـة: العـدل. وباختفـاء

العـدل الـذي تعرّفنـا عليـه منـذ قليـل، ابتعـد المسـلمون عـن العلـم الإلهـي وعـن كل مـا يحتاجـون إليـه لصيانـة مجتمعهـم وحمايتـه وازدهـاره وقوّتـه، فصـاروا أكلـة للشـعوب، يغزوهـم أعداؤهـم المغـول والصليبيّـون مـن كلّ جانـب، ويطمـع بهـم كلّ طامـع.

من هو الإمام العادل؟

الإمـام العـادل هـو الـذي يعـرف الإسـلام بروحـه وأعماقـه، وهـو ديـن متـين عظيـم الغـور لا يُـدرك قعـره، ولهـذا فـإنّ معرفتـه لا تكـون إلا بالتعليـم الإلهـيّ والوراثـة النبويـة.

والإمـام العـادل هـو الـذي اعتصـم باللّـه فعصمـه اللّـه تعـالى في نفسـه وطهّـره مـن الرجـس تطهـيرًا، فـلا طريـق للهـوى والشـيطان إلى نفسـه؛ ولا يمكـن أن يخـاف أو يحيـف أو ينحـرف أو يتراجـع أو ينـكل أو يـتردّد. فهـو القـويّ في اللّـه الثابـت القـدم عـلى زحاليفهـا وزلّاتهـا.

فمـن أراد تغيـير العـالم، فهـو بحاجـة إلى ذلـك العلـم المرتبـط بكيفية التعامـل مـع الأرض ومكوّناتهـا. وهـو أحـد مراتـب الإسـلام. ولـكي يـدرك الإنسـان هـذا العلـم يحتـاج إلى العِلـم الـذي ينبـع منـه وهـو العلـم بكيفيـة سـلوك طـرق السـماء الـذي يهـدي إلى الجنّـة. وهـذه هـي

المرتبـة الأعـلى مـن الإسـلام.

فإصـلاح الأرض يكـون مقدّمـة لعبـور السـماوات، وهـو جـزءٌ مـن مـشروعٍ أكـبر وخطّـة أعـلى، وهـذه هـي رسـالة اللّـه التـي أودعهـا أمنـاءه في أرضـه وعبـاده.

كيف يربّي الإمام في غيبته؟

لأنّ الإمام هو قائد المشروع الرساليّ وقائد الإسلام، ولأنّ الإسلام دينٌ يهدف إلى تربية الإنسان والأرض والكائنات، فإنّ دور الإمام الأكبر يكون في تربية الناس والخليقة، والتربية تعني إيصال الكائنات إلى كمالها، وهذه هي الرحمة الإلهية التي آتاها اللّه أولياءه.

إذًا، أكبر مهمّة يقوم بها الإمام هي التربية، وهو لا يترك هذه المهمّة سواء كان حاضرًا أو غائبًا. ولهذا نقول أنّه عليه السلام يربّي الناس في غيبته، بمعنى أنّه بغيابه يريد أن يكمل مسيرة المجتمع نحو تلك الأهداف التي تحدّثنا عنها.

فلكي يصل المجتمع إلى حالة المطالبة الحقيقيّة بالإمام العالِم العادل، ويكون العلم النافع والعدل القائم غايته، لا بدّ أن يعبر عدّة مراحل.

وكما صرت تعلم فإنّ التخلّي عن اتّباع الدنيا والسلطة والسيطرة والغنائم هو المرحلة الأولى، أي حين لا يستعمل المسلمون إسلامهم من أجل الدنيا الفانية الزائلة والشهوات النفسية الشخصية.

والمرحلة الثانية تظهر من خلال رفضهم للظلم والفساد واعترافهم لاحقًا بالسبب الذي أوصل الأمور إلى هذا الانحطاط. فما داموا عبيدًا للدنيا مقبلين على جمعها جاعلين إيّاها غاية حياتهم سيرون في حكّام الجور والفساد الوجه الذي يحبّونه، لكنّهم

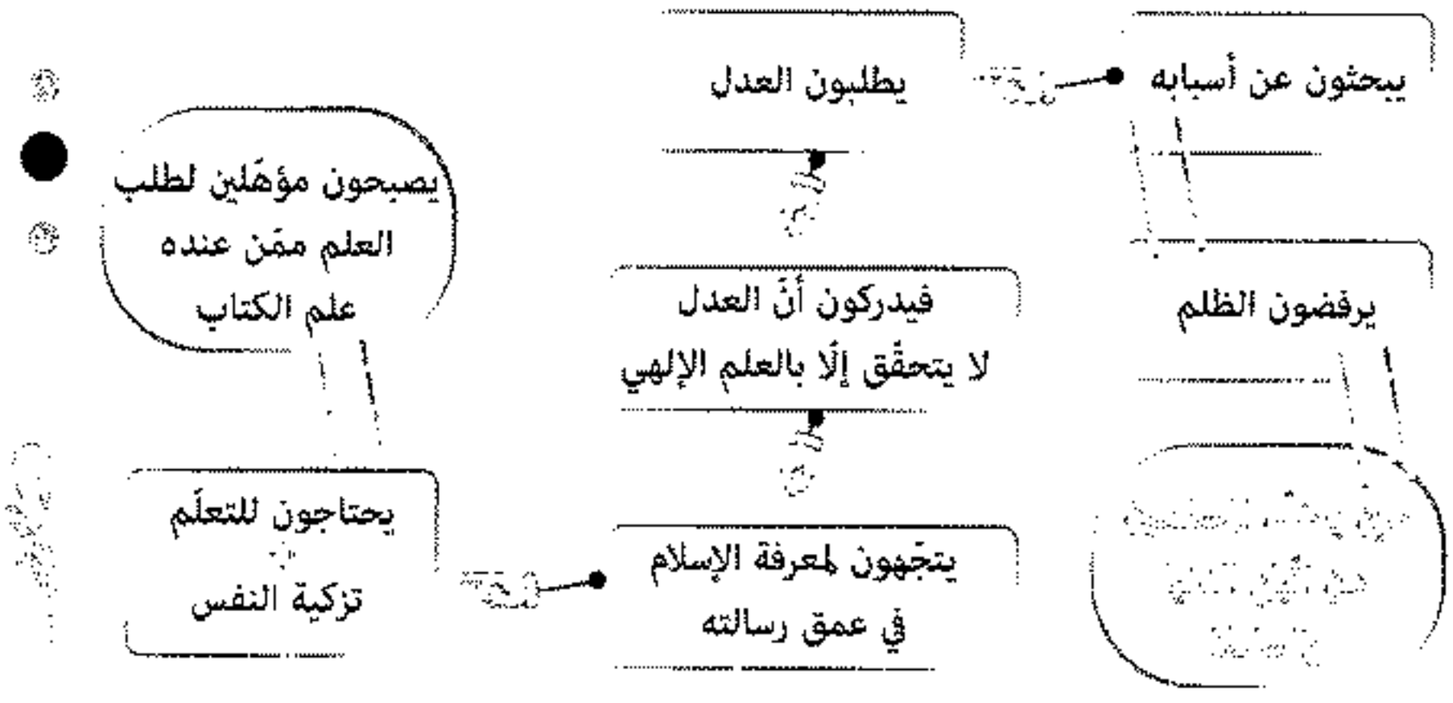

إذا رفضوا الدنيا سيشعرون بالظلم ويكرهونه. وحين يكرهون الظلم ويتألّمون منه، فإنّهم سوف يبحثون عن الأسباب التي أوصلت الأمور إلى هذا الحدّ من المعاناة. وإذا عرفوا السبب واعترفوا به، أصبحوا لائقين للتحرّك نحو العدل. وإذا طلبوا العدل أدركوا أنّه لا

يمكـن تحقيقـه مـن دون العلـم الإلهـيّ.

إنّ الإسـلام ديـن الآخـرة، ولأنّـه كذلـك فإنّـه يريدنـا أن نجعـل دنيانـا آخـرة، أي أن نجعلهـا وسـيلة للوصـول إلى الجنّـة. وحـين نصلـح هـذه الأرض ونعمرهـا، فإنّنـا نحوّلهـا إلى ممـر سـهل ميسّر إلى جنّـة الخلـد. ومـا دامـت الدنيـا غايـة آمالنـا، فمـن المسـتحيل أن نفكّـر في تحويلهـا وتبديلهـا، بـل سنسـعى لجعلهـا مقرّنـا الأبـدي، وهيهـات أن تصبـح كذلـك لأحـد.

إنّ الشـعور بواقـع الظلـم ومرارتـه يتعمّـق ويتحـوّل إلى وعـي وبصـيرة حـين تصبـح الحيـاة الآخـرة ماثلـة أمـام أعيننـا، ونعلـم أنّنـا مقبلـون عـلى اللّـه وأنّ إليـه الرجعـى. فحـين تنفـذ تعاليـم الإسـلام والقـرآن في نفوسـنا سـندرك مـدى حضـور الآخـرة وأهميتهـا. فـلا يمكـن لأي إنسـان أن يكـون مسـلمًا حقيقيًـا وهـو لا يعمـل لآخرتـه، بـل ينبغـي أن تكـون الحيـاة الآخـرة أولويـة في كل أمـوره.

وبهـذه الطريقـة يصبـح حسّاسًـا تجـاه الظلـم والفسـاد ويتعـرّف عـلى الكثـير مـن خبايـاه وخفايـاه. وبهـذه الحساسـية يـدرك أسـبابه وعواملـه ومـن أيـن ينشـأ ولمـاذا يسـتمر. وسرعـان مـا يصبـح ملتفتًـا إلى

دور الحكومة والسياسة في هذه القضية المهمة. فكل ظلم يرجع إلى الحكم، وكل فساد ينطلق منه. وحين يفهم هذه العلاقة يتساءل عن الأسباب التي أوصلت هؤلاء الحكّام إلى السّلطة. وهكذا يبدأ في تحليل التاريخ.

إنّ هؤلاء الظّالمين الذين يساهمون في نشر كل أشكال الفساد الذي يزيد من الظلم، لم يأتوا إلى السلطة صدفة، وإنّما هم حصيلة مسار تاريخيّ بدأ منذ حصل الانحراف الأوّل. فحين تجد مسلمين يقبلون بحكومة ظالم فاجر جاهل، فذلك لأنّهم يعتقدون بجواز ذلك، وهذا الاعتقاد لم يتشكّل بين عشية وضحاها، بل بدأ منذ قرون مديدة حين اجتمعت السلطة السياسية مع بعض المعروفين بالعلم وتلاوة الحديث بتبرير حكومة الجائر الظالم. وإنّما حدث ذلك بعد إقصاء أئمّة المسلمين الحقيقيين عن السلطة والقيادة الاجتماعية. فما يجري اليوم من ظلم قد نشأ من عقائد وأحكام تمّت صياغتها قبل أكثر من ألف سنة. ولكي تدوم هذه العقائد التي تبرّر الظلم والجهل كان عليهم أن يسبغوا عليها صبغة القداسة وأن يحموها بسلاح تكفير المعارضين لها.

فحين تجد مسلمًا يتألم من الظلم والفساد ولا يؤمن بضرورة تبديل نظام الحكم، فسوف تعلم أنّ شعوره ذلك ليس حقيقيًا أو أنّه لم يصل بعد إلى المرحلة المطلوبة. وقد أثبتت تجارب المجتمعات التي ثارت وغيّرت كيف أنّ الشعوب تعرف تمامًا من هو السبب الواقعيّ في معاناتها، أي أنّ هذه المعرفة لا تتطلّب فلسفة عميقة. ولا يحجب عن هذا الإدراك سوى تلك العصبيات البغيضة.

إنّ معرفة السبب الواقعيّ لكلّ ما يجري من ظلم يقود الناس إلى المطالبة بالعدالة الاجتماعية، أي بالحكومة والنظام العادل الذي يعتمد مبدأ الكفاءة. ولأنّ المسلم يعتقد بأنّ الإسلام هو الذي يتضمّن البرنامج المناسب للتقدّم والازدهار، فإنّ كفاءة الأشخاص تتحدّد وفق معرفتهم بالإسلام وبرامجه.

ولكي يصل أي إنسان إلى معرفة الإسلام في عمق رسالته وبرنامجه وخطّته، يحتاج إلى التعلّم والتفقّه بالإضافة إلى الطّهارة، لأنّ علم الكتاب والحكمة يأتيان في مرحلة تالية للتزكية.

التزكية تعني إزالة كلّ الموانع النفسية التي تتسبّب في تعطيل العقل وإضعافه وتحديد الطاقات الإدراكية وتقييدها. فحين تحصل التزكية

فإنّ الإنسان المتزكّي يصبح مؤهّلًا للتعلّم ممّن عنده علم الكتاب.

وقد ذكرنا أنّ المسلمين قد انحرفوا عن مسيرة هذا العلم.

وحتّى أولئك الذين حدّدوا مصدره وعرفوا أنّه مستودع في قلوب أئمّة معصومين، لم يشكّلوا ذلك التيّار الذي يتوجّه إلى هذا المصدر.

وبعبارةٍ أخرى، لقد كان هناك من يعرف أنّ الإمام الصّادق عليه السلام مثلًا لديه علم الكتاب، لكنّ الذين سعوا للتعلّم منه على أساس إقامة العدل وتشكيل الحكومة العادلة، كانوا قليلين جدًّا.

وفي بعض الشواهد قيل أنّهم أقل من عدد أصابع اليد الواحدة.

من إنجازات الإمام العظيمة

أنّه يصنع السلام العالميّ في ظلّ هذا الاختلاف الكبير في المذاهب والأديان والثقافات، حيث يقود هذه البشريّة نحو إقامة العدالة التي سيكتشفون في سعيهم نحو تحقيقها ما هو الدين الحقّ ويعتنقونه عن قناعة وإيمان ويتخلّصون من الخرافات والأباطيل بأنفسهم.

وقد استمرّ هذا الحال حتّى وصل إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام. والكثير من العارفين بحقّ الأئمّة لا يشتغلون على تزكية أنفسهم وتحريكها نحو معارف الدين، بل كانوا إتّكاليين يعتمدون

على ما يصلهم من حديث أو فتوى. ولم يكونوا يشعرون بالمسؤولية في أن يعملوا على الاجتهاد الصحيح وإدراك المشروع الرسالي ونشره. لقد كان هؤلاء يعتقدون أنّه طالما كانوا عارفين بحقّ الإمام ومحبّين له، فإنّه يكفيهم لينالوا الجنّة والرضوان بالشّفاعة والتولّي. لكنّ الإمام كان له دورٌ أعظم، وكان بحاجة إلى أنصار لتطبيق المشروع. وكانت التربية وتفعيل الطّاقات الكامنة وتكميل العقول والحلوم ركنًا أساسيًا فيه. فما نفع المحبّة إن لم تؤدِ إلى التكامل؟ وما هو التولّي إن لم يكن عبارة عن اتّباع الإمام ونصرته والسير على خطاه؟ لقد اكتفى الكثيرون من المؤمنين بالأئمة بالمحبة السطحية والتولي الظاهري، ولم يعرفوا أنّ دور الإمام الأساسي في الحياة يتمثّل في تكميلهم، وأنّه من خلال تعليمهم يعمل على تكميلهم، وأنّهم لا بدّ أن يطلبوا علم الإمام (الذي هو علم الكتاب والحكمة) لكي يتحرّكوا على هذا الطريق، وأنّ هذا العلم الإلهي يهدف إلى إصلاح الأرض وعمارتها وجعل الدنيا طريقًا إلى السماوات والآخرة.

فإذا طلبت علم الإمام من دون أن يكون هدفك إصلاح الأرض، فأنت لا تطلب علمه وإن حصلت على شيءٍ منه، لكنّك ستبقى

بعيـدًا عـن معدنـه وجوهـره.

وإذا كنـت تريـد علـم الإمـام الحقيقـي فـلا بـدّ أن تـزكّي نفسـك وتفعّـل طاقاتـك العقليـة والمعنويّـة. ولا يمكنـك أن تفعّـل هـذه الطاقات وأنـت غـير مبـالٍ بمـا يجـري في العـالم مـن ظلـم.

ولا يمكـن أن تكـون حسّاسًـا تجـاه الظلـم وأنـت لا تتصـوّر كيـف يكـون الجـمال والخـير والصلاح (وهـذه هـي الفطـرة التـي فطـر اللّـه النـاس جميعـاً عليهـا).

إنّ تفاعلـك مـع عـالم الخلقـة والمجتمعـات البشريـة هـو الـذي يحيـي فيـك هـذه الفطـرة التـي تتـوق إلى الخـير والجـمال والكـمال. وحـين تصبـح هـذه الفطـرة حـاضرة في قلبـك، فإنّهـا تجعلـك شـديد الحساسـية تجـاه الظلـم والفسـاد والـشر. وهـذا مـا يصونـك ويزكّيـك ويسـتخرج طاقاتـك الذهنيـة والعقليـة.

فـإذا أقبلـت عـلى معرفـة الديـن بهـذه الروحيـة وطلبـت العلـم الإلهـيّ بهـذه الذهنيـة، فسـوف تتّصـل بمعدنـه وترتبـط بأصلـه.

وحـين غـاب الإمـام المهـدي عجّـل اللّـه تعـالى فرجـه، احتـار الكثـيرون مـن الذيـن كانـوا يفتخـرون أنّهـم يتولّونـه ويؤمنـون بـه.

لأنّهـم بسـبب اتكالهـم لم يحفظـوا علمـه في الكتـب؛ هـذا في الوقـت الـذي كان الآخـرون قـد جعلـوا باطلهـم في الكتـب الكثـيرة. وكأنّ العلـم قـد ارتحـل مـن بينهـم، ولا قيمـة لأي مذهـب مـن دون العلـم.

فأقبـل بعضهـم عـلى تدويـن مـا تركـه لهـم الأئمـة المعصومـون ودراسـته، وبـدأت مسـيرة الاجتهـاد.

لقد كانت هذه المسيرة باحثة عن علم الإمام:

❁ **فهل حقّقت الشروط المطلوبة للوصول إلى هذا العلم؟**

❁ **وهل استفادت من هذه الفرصة لتزكية النفس؟**

❁ **وإلى أين وصلت هذه المسيرة اليوم؟**

هـذه هـي الأسـئلة التـي تسـاعدك الإجابـة عنهـا عـلى معرفة مسـيرة التمهيـد والاقـتراب مـن فهـم عـصر الغيبـة وشروط الظهور.

فـلا بـدّ أن يظهـر الإمـام حـين تصـل هـذه المسـيرة إلى النقطـة التـي يحتـاج إليهـا الإمـام لـكي يظهـر للنـاس.

فما هي هذه النقطة؟

نقطة الظهور

لا يمكن التكهّن بالزمن وتحديد الوقت الذي تصل فيه مسيرة الاجتهاد، التي تقوم على التزكية والسعي، لتحقيق العدل. لكنّنا نستطيع أن نحدّد ما هي هذه النقطة أو المرحلة. فنحن نؤمن بأنّ وجود الإمام ناشئ من الحكمة الإلهيّة، لا من العبث والصدفة. وعلى هذا الأساس، فإنّ حضوره وظهوره يكون على أساس الحكمة أيضًا، وهكذا تكون غيبته تابعة لحكمة، وكذلك سيكون خروجه.

الحكمة تعني الأسباب، أي أنّ هناك سبب لوجوده وسبب لغيابه وسبب لظهوره مجددًا. ولأنّ معرفة هذه الأسباب هي أنفع المعارف لنا، فقد سعينا من خلال ما تقدّم أن نكتشفها. فحين نعرف أنّ سبب وجود إمام معصوم في الحياة هو: قيادة المشروع الإسلامي الرسالي، فإنّنا سنؤمن بهذه القيادة ونتّبعها لأنّنا نريد

تطبيـق الإسـلام.

وحـين نعـرف أنّ غيبـة الإمـام كانـت بسـبب ابتعـاد الموالـين أو المؤمنـين عـن أهدافـه ونصرتـه (من خـلال التعلّـم والتّعليـم)، فإنّنا سـنجتنب الجهل.

وحـين نعلـم أنّ سـبب ظهـوره وخروجـه هـو الـشيء الفلاني، فسـوف نسـعى للوصـول إليـه، لأنّنـا نريـده أن يظهـر وأن يحكـم وأن يقيـم العـدل وأن يحقّـق الأهـداف الإلهيـة.

ومن المهم جدًا أن نبدأ من هذه الأهداف مجددًا.

إنّ الإمـام سـيقضي عـلى الظلـم في كلّ العـالم، وسـوف يقيـم حكومـة العـدل العالميـة، وسـوف يبـدّل الأرض إلى أرض مشرقـة بنـور ربّهـا، وسـوف يجعـل هـذه الأرض منصّـة عروجنـا ونفوذنـا في أقطـار

من إنجازات الإمام وتحركاته بعد الظهور

أنّه سيقوم بمحاورة علماء الإسلام من كل المذاهب ومحاججتهم فيكشف زيف المدّعين ويقنع طالبي الحقيقة، فتسقط الأقنعة، وتبدأ حركة عامّة بين العلماء نحو الإسلام الأصيل والقرآن.

السّـماوات مـن أجـل أن تـزداد معرفتنـا بربّنـا ونـدرك عظمتـه وجبروتـه.

هـذه هـي أهـداف الإمـام المهـدي. وهـي أهـداف تتحقّـق بالتدريج.

ولكـن لـكي يحقّـق كل هـذه الأهـداف فإنّـه يحتـاج إلى أنصـار، وحاجتـه إلى الأنصـار لسـببٍ واضـح، لأنّ النـاس حـين ينصرونـه فإنّهـم يتكاملـون؛ وهكـذا يحقّـق مهمّتـه الكـبرى وهـي تربيـة النـاس.

إنّ اللّـه تعـالى قـادرٌ عـلى تحطيـم الظالمـين وإبادتهـم، لكـنّ ذلـك يعنـي أنّ الحكمـة مـن وجودهـم تنتفـي. فـكل هـذا الظلـم سـببه إعـراض النـاس عـن تزكيـة أنفسـهم وتكميلهـا، فـإذا أبـاد اللّـه الظلـم بواسـطة عـذابٍ سـماويّ مثـلًا، فلـن يعمـل النـاس عـلى تزكيـة أنفسـهم؛ ولهـذا، كان الإمـام مأمـورًا بـأن يقـود النـاس في عمليـة القضـاء عـلى الظلـم مـن خـلال التزكيـة لا غـير.

فـإذا وُجـد الأنصـار الذيـن يريـدون القضـاء عـلى الظلـم أو الأنصـار الذيـن يمتلكـون القـدرة الماديـة للقضـاء عـلى الظالمـين، لكـن هـؤلاء الأنصـار لم يكونـوا مسـتعدين للاسـتفادة مـن هـذه العمليـة لتزكيـة أنفسـهم، فلـن يسـتفيد منهـم الإمـام ولـن يجعلهـم أنصـاره.

❁ فالإمام بغنى عن الناس في القوّة، لأنّ قوّته مستمدّة من قوّة اللّه، ولأنّ مهمّة الإمام الأولى والأساسية هي تزكية الناس وتربيتهم وتفعيل قدراتهم وتكميل نفوسهم.

❋ وإنّما يقودهم على طريق القضاء على الظلم في سبيل تزكيتهم.

❋ وإنّما يقودهم في عملية إقامة العدل لأجل تزكيتهم.

❋ وإنّما يسعى معهم لتبديل الأرض وعمارتها لتزكيتهم.

❋ وإنّما يرتقي الناس في آفاق السّماوات وهم يزكّون أنفسهم.

فهذه هي مراحل تزكية الإنسان الأساسية. والإمام هو قائد هذه المراحل.

في هذا الكتاب تمّت الإجابة عن الأسئلة التالية:

- من هو الإمام المهدي (عج)؟
- لماذا غاب طوال هذه المدّة؟
- ما هو ذنب الناس في الغيبة؟
- كيف سيرجع؟ وما هي شروط رجوعه؟
- كيف سيغيّر العالم؟
- كيف سيصبح العالم بعد تغييره؟

هل تعلم أنّ هناك شخصًا سيغيّر العالم كلّه؟
وأنّه يمكنك أن تشاركه في هذا التغيير؟

الذين عرفوا الإمام المهدي(عج)

كل الذين تعرّفوا على هذه الشخصيّة العظيمة تغيّرت حياتهم بشكلٍ كبير بعد أن آمنوا بها ونشأت بينهم وبينها علاقة ورابطة خاصة.

لا نستطيع أن نحدّد مقدار وكيفيّة هذا التغيّر، فهو يختلف بين شخص وآخر. إلّا أنّ ما نعرفه هو أنه تغيّر وتحوّل كبير جدًّا، لعلّنا لا نجد له مثيلًا في أي علاقة سمعنا بها.

هذه الشخصية ينتظرها كلّ العالم، ويتحدّث عنها أتباع الديانات التوحيدية بأسماء مختلفة، ويطلق عليها المسلمون لقب المهديّ، ومنهم من يعرف اسمها بالتفصيل ويعرف عنها الكثير.

هناك من يعرف المهدي باسم الإمام محمد بن الحسن عليه السلام الذي هو حفيد الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله. وقد كان

هـؤلاء الذيـن عرفـوه بالنســب يعتـبرون ذلـك سرًّا عظيـمًا ويتناقلونـه فيما بينهـم لكنهـم يحرّمـون إذاعتـه لأنّـه يعـرّض صاحبـه لخطـر القتـل.

وبعـد أن اطمأنّـوا أنّـه لـن يصيبـه مكـروه، أسـقطوا التحريـم وصـاروا يعلنونـه مـن دون خـوف أو وجـل.

مـن هـي هـذه الشـخصية التـي ارتبطـت بهـا طائفـة كبـيرة مـن النـاس، ارتباطًـا جعلهـا تحمـل اسـمها وتُعـرف بـه؟ فصـاروا يُعرفـون بالإماميـة، نسـبة إلى هـذا الإمـام!

وكيف تعلّقت بقيت الشعوب بها وتحدّثت عنها؟

لقـد شـاهدتُ بعـض هـؤلاء الذيـن عرفـوا هـذا الإنسـان وارتبطـوا بـه، فرأيـت حياتهـم مفعمـة بالأمـل والتوجـه نحـو الغـد، بعيـدة عـن اليـأس والقلـق والحـيرة والعبثيـة. وبالإضافـة إلى الأمـل الكبـير، شـاهدت فيهـم العزيمـة والبطولـة.

لقد تعرّفتُ على أشخاص لا تجد لهم مثيلًا في كلّ العالم!

ورغـم أنّ الكثيريـن غيرهـم مـن شـعوب العـالم يتحدّثـون عـن الإنسـان المخلّـص ويؤمنـون بـه، إلّا أنّ حياتهـم لم تتغـيّر ولم أشـاهد فيهم مـا شـاهدته عنـد هـؤلاء. لأنّ الـسرّ كلّ الـسر في التفاصيـل .

كيف تعرّف هؤلاء على الإمام المهدي؟ وكيف عرفه غيرهم؟

ينقسم المؤمنون بالإمام المهدي من حيث معرفته إلى فئتين أساسيتين:

الفئة الأولى منهم تعرّفت إليه بعد طي طريق طويل من المعرفة. فهؤلاء تعرّفوا في البداية على أشياء كثيرة وقادتهم هذه المعارف إليه. فلأنّهم تواجدوا في بيئة ومحيط مليء بالمعلومات الصحيحة، وصلوا بشكلٍ طبيعي إلى الاعتقاد به، وتعرّفوا على الكثير من صفاته ومهامّه وموقعيّته ودوره في الحياة.

والفئة الثانية هم أولئك الذين شاهدوا حقيقة ما يجري في هذا العالم واطّلعوا على المظالم الرهيبة والفجائع المهولة وكل هذا القتل والفساد والكذب والاستكبار. ولأنّهم كانوا يمتلكون حسًّا مرهفًا وتحسّسوا آلام البشر ومعاناتهم المأساوية، فقد كانوا بصدد البحث عن طريق للخلاص والسبيل لإيقاف هذا الانحدار الكبير الذي يجرّ معه البشرية نحو مصيرٍ مشؤوم.

لقد قادهم حسّهم المرهف وإنسانيتهم الفاعلة إلى ضرورة أن

يكون هناك خطة إلهيّة لنجاة العالم وإحلال العدل والسلام مكان الظلم والدمار.

ولم يستغرق الأمر طويلًا، فإيمانهم باللّه فتح لهم الطريق أمام التعرّف على هذه الخطة.

فإذا كان الربّ الرحيم قد أرسل طوال مسيرة البشريّة الممتدّة لآلاف السنين أشخاصًا لإنقاذ العالمين، فلماذا لا يفعل هذا الأمر مرّة أخرى؟

هل أنّ رحمته انقطعت؟!

وهل أنّ لطفه توقّف؟!!

أم هو عاجز عن فعل شيء؟!!!

فما دام الإله الرحيم اللطيف القدير، الذي لا حدّ لرحمته ولا نهاية للطفه ولا رادّ لفعله، موجودًا وناظرًا ويسمع ويرى، وما خلقه للناس كلّ يوم ليس إلاّ دليلاً على حضوره القوي ولطفه وإيمانه بالناس. وإلّا فإنه قادر وبكل بساطة على إنهاء هذه المأساة بإنهاء الحياة على الأرض.

إذًا، فما دام الإله هكذا فالمشروع والخطة موجودة وجاهزة،

وهــي تنتظــر التطبيــق.

الرجــل الإلهــي، أي الإنســان المتّصــل باللّــه، أي الإمــام الحامــل لمــشروع الــرب الرحيــم، موجــود حتــمًا.

فأين هو؟

وهنا أطلّت الفئة الأولى لتجيب عن هذا السؤال وتحدثنا عن طريقتها في التعرف إليه وتشخيصه حتى بالاسم والصفات والعلائم!

إنّ الذي يتربّى وينشأ في الأجواء العلمية الملتزمة ويجالس العلماء سيتعرّف على إله العالم الذي يعبده الجميع بشكلٍ رائعٍ وحيويّ.

فالأحاديث والأدعية التي تذكر اللّه مليئة بالبهجة، تفصّل لنا كيف يتعامل هذا الإله العظيم مع خلقه، وكيف يرتبط بهم، بحيث أنّ المعرفة المتولّدة من هذه الأحاديث والتراث العلميّ الغنيّ تجعل صاحبها قادرًا على تفسير كل غوامض الحياة وأسرارها بطريقة مترابطة منسجمة لا تناقض فيها ولا عبثية.

فالإنسان عند اللّه كريم ومحبوب. بل إنّ العشق الموجود بين اللّه وخلقه أمرٌ لا يستطيع هذا القلم بيانه.

والإله العظيم قد خلق كلّ شيء من أجل هذا الانسان، ويفعل

كلّ شيء لهدايتـه وإنقـاذه وإيصالـه إلى أوج السـعادة والكـمال. كل شيء في هـذا العـالم هـو فعـل اللّـه، وكل فعـل هـو لأجـل هـذا الإنسـان.

وإذا كنّـا غافلـين عـن أكـثر الموجـودات والكائنـات وعـن أكـثر مـا يحـدث في الأكـوان، فـلا ينبغـي أن ننـسى بـأنّ هـذا العـالم قـد جعلـه اللّـه تعـالى بحيـث تكـون كل ذرّة نابضـة بعشـق هـذا الإنسـان وخدمتـه وهدايتـه وسـعادته.

إذا كنّـا نجهـل أنّ العصفـور المزقـزق عـلى غصـن شـجرة التـين في حديقتنـا يسـتغفر لنـا ويطلـب مـن ربّـه أن ينـزل علينـا رحمتـه وبركاته، فلنتذكـر أنّ اللّـه الـذي خلقـه قـد خلقـه مسـبّحًا لأجلنـا.

فكيـف بأشـجار التـين وأوراقهـا وأعشـاب الأرض ونباتهـا، وكلّ حجـر وصخـرة، وكل جبـل ومجـرّة..

إلـه العـالم رحيـم عـادل يهـدي خلقـه ويأخـذ بيـد كلّ مـن أراد الهدايـة وسـلك سـبيل النجـاة، فيرسـل لـه سـفراءه رسـلًا مبشّريـن ومنذريـن حاملـين قوانـين السـماء ومعلنـين كلام الحـقّ وناشريـن لشريعـة الإلـه الواحـد.

لا تنقطـع رحمـة اللّـه وإن قُتـل مـن قُتـل مـن أنبيائـه، ويسـتمر

العطـاء ويبقـى خـط الرحمـة التـي وسـعت كلّ شيء متصـلًا بـين الأرض والسـماء.

وإذا خُتمـت النبـوّة بسـيد الخلـق وأعـزّ المرسـلين محمـد بـن عبـد اللّه(صـلّى اللّـه عليـه وآلـه وسـلّم)، فـلا تُختـم الرحمـة ولا تنقطـع.

فمـشروع خـلاص العـالم، وحاكميـة الـربّ، وتحقّـق ملكـوت السـماء، ووراثــة الأرض للصالحــين، وغلبــة المســتضعفين، وهزيمــة المســتكبرين بشـكل نهـائي: هـي وعـود الـربّ الجبّـار الـذي لا يخلـف وعـده.

ولا يـزال المـشروع قائمًـا والخطـة تتحـرك. قـال اللّـه تعـالى في القـرآن الكريـم: ﴿**قـل فانتظـروا إني معكـم مـن المنتظريـن**﴾.[32] ويقـول العديـد مـن العلـماء في أحاديثهـم أنّ الـدور الأساسيّ الـذي كان يقـوم بـه رسـول اللّه(صـلّى اللّـه عليـه وآلـه وسـلّم) في هدايـة النـاس وحفـظ القـرآن ومنـع تحريفـه وزوالـه (لأنّـه دسـتور الحيـاة وبرنامـج التغيـير الكبـير) قـد انتقـل إلى الأئمـة المعصومـين مـن بعـده.

ولـكي لا يضـل النـاس عنهـم إذا هـم طلبـوا الهدايـة بصـدق فقـد عـيّن لهـم أسـماءهم وصفاتهـم. وهـؤلاء الأئمّـة بدورهـم قامـوا بتوضيـح هـذا المـشروع والخطـة بـكل تفاصيلهـما، وبيّنـوا سـبيل النجـاة، وفصّلـوا

نقاطه وبرامجه.

ومن أهم بنود هذا المشروع التعريف بقائده والساهر على تنفيذه وصيانته، لكي ينتقل إلى الجيل الذي سيقوم معه بتطبيقه تطبيقًا شاملًا، وذلك في يوم الوقت المعلوم عند اللّه سبحانه..

فلماذا يصبح المؤمنون الحقيقيون مفعمين بالأمل مليئين بالحيوية والنشاط؟

بكل بساطة، لأنهم لم يكتفوا بمطالعة مآسي العالم، أو تعقيبها بذرف الدموع والتعبير عن الحزن والأسى، بل، بالإضافة إلى هذين الأمرين، استطاعوا أن يدركوا حضور اللّه بقوّة في خضمِّ هذا البحر المتلاطم وشاهدوا ذلك في جزئيات الأحداث.

اللّه الحاضر هو الإله الذي بيده كل شيء؛ نعم كل شيء! ولا شيء يجري إلّا وفق مشيئته وحكمته وتدبير العالم وهداية المؤمنين وإنقاذهم. وكيف نتصوّر حال من عرف كل هذا، وعرف معه كيف ستنزل الرحمة وكيف ستعمّ، وكيف سيخلّص اللّه العالم من الأشرار، بل وعرف مع برنامج الخلاص أسباب وقوع كل هذا الظلم والفساد وعوامل بقاء الأحزان والشقاء!؟

فكل هذه المشاهدات وجميع هذه المعلومات الواضحة المفصّلة تضيء له الطريق وتدعوه إلى المشاركة في خلاص العالم وإنقاذه والقضاء على مآسيه وأحزانه. ولا تكتفي بتوجيه دعوة، بل تعيّن له مكانه في القافلة وموقعه في المحضر وعمله في الجمع الذي لبّى النداء.

إذًا، فالمؤمنون يربطون بين إيمانهم باللّه وفهمهم لما يجري في العالم، أي بين الغيب والشهادة، وبين الروح والظاهر، وبين القلب والعمل. وليس الإيمان باللّه مجرّد أحاسيس قلبية عندهم، بل هو بحث وحضور. بحث عن حضور اللّه في تفاصيل الحياة ومعرفة بتدبيره وحكمته، وتوجّه نحو أفعاله وتصرّفاته.

كما أنّ الواقع الذي يعيشون فيه ليس بعيدًا في عقولهم وضمائرهم عمّا يريده اللّه، أي أنّه لا ينفصل عن ذلك الإيمان.. ولهذا، فلا نفاق أو خداع.

إنّهم لا يخدعون أنفسهم ولا الآخرين في وضع النقاط على الحروف، أي في تشخيص أهل الحقّ وأهل الباطل. الميزان عندهم هو اللّه، واللّه عندهم لا يعيش في السماء بعزّته مفصولًا عن الخلق بجبروته. ولهذا، فإنّهم سرعان ما يتّخذون الموقف المتناسب مع

إيمانهـم وارتباطهـم باللّـه. فمـن كان عـدوًّا للـه اتّخـذوه عـدوًّا، ومـن كان يريـد اللّـه كانـوا معـه.

ولأنّهـم كذلـك، فقـد عرفـوا الإمـام وتوجّهـوا نحـوه وارتبطـوا بمشروعـه.

❁ الإمام هو ذلك الغيب غير المحسوس، ولا يؤمن به إلا من آمن بالغيب وصدّق به.

❁ الإمام هو العدل المطلق، ولا يؤمن به إلّا من كفر بالطاغوت ورفض الظلم.

❁ الإمام هو الرحمة الواسعة، ولا يؤمن به إلّا من عاش قلبه بحب المساكين والمظلومين.

هـذه قصّـة المؤمنـين بالإمـام المهـدي عليه السلام، وهـذا جانـب مـن أسرار ارتباطهـم الحيـوي وتفاعلهـم الكبـير مع قضيتـه.

أمّا...

حين يدّعي الإنسان أنه يؤمن باللّه، ولا يتابع حضوره في حياته..

وحين يتبجّح بمحبّته ولا يشفق على المظلومين والمنكوبين..

وحين يعلم بغضب اللّه على الظالمين ويسكت على أفعالهم..

فإنّـه مهـما ادّعـى أو أعلـن شـوقه للمخلّـص والمنجـي ورفـع شـعاره وبـكى من أجلـه، فلـن يدركـه أو يعرفـه أو يتّصـل بـه ويرتبـط بمشروعه.

فليـس هـذا الإنسـان المخلّـص روايـة في التاريـخ أو نبوءة للمسـتقبل؛ إنّـه أكـبر وأعظـم، وإن ذُكـر في التاريـخ وصـار نبوءة للمستقبل.

إنّه المشروع والدور والهدف والعمل..

إنّه العدل الكلّي الذي لا يهادن الظالمين أبدًا.

إنّ برنامـج الإمـام المهـدي عليه السلام هـو الإسـلام الأصيـل. ولهـذا، فـإنّ أهدافـه هـي أهـداف الإسـلام أيضًـا. ولا شـكّ بـأنّ الإسـلام هـو برنامـج اللّـه وقانونـه. وقـد خلـق اللّـه الإنسـان لـكي يكـون سـعيدًا، ويحقّـق السـعادة الحقيقيـة في كلّ وجـوده. فكيـف تتحقّـق هـذه السـعادة؟ ومـا هـو برنامـج الإسـلام لأجـل تحقيقهـا؟

سعادة الإنسان تكمن في وصوله إلى أعلى درجات الكمال.

هـذا الكـمال هـو مـا ينشـده ويتمنّـاه مـن كل وجـوده، ولا قيمـة عنـده لأي شيء آخـر. فهـو إنّمـا يتعلّـق بـأي شيء إذا كان يمثّـل لـه هـذا الكـمال أو يكـون وسـيلة لنيلـه.

ومـن جانـبٍ آخـر يرفـض هـذا الإنسـان كل مـا يعيقـه عـن الوصـول

إلى الكمال أو يقف سدًّا أمامه. فأيّ شيءٍ مهما كان قريبًا إذا تحوّل إلى عائق ومانع سيكون مبغوضًا ومرفوضًا.

الدور الأساسي للإسلام هو في بيان الكمال وكشف زيف الكمالات الموهومة. فقد يتعلّق الإنسان ـ كما هو حال أكثر الناس ـ بأمور يظن أنّها هي الكمال أو الموصِلة إليه. وهنا ينبغي لفت نظره وإرشاده وبيان الحقيقة له.

قسمٌ مهم من تعاليم الإسلام يدور حول هذا المحور. وهو ما نسمّيه بالمعرفة والوعي.

ولا يكتفي الإسلام ببيان الحقيقة، بل يبيّن أسباب هذا التوهّم وكيف يصل البشر إلى هذه الحالة السيئة، ثمّ يقدّم لهم برنامج التخلّص من هذا الوهم والوقاية منه، لأنّ كل بشر معرّض دومًا لمثل هذه الاشتباهات.

ويكمل برنامجه ببيان كيفية الوصول إلى الكمال الحقيقي والمحافظة عليه وعدم السقوط والتراجع.

وصحيح أنّ الإنسان كفرد هو محور هذا البرنامج. وكل فرد بنفسه مسؤول عن نفسه، إلاّ أنّ المجتمع والناس من حوله هم

جزء نفسه، وكما يعبّرون "المجتمع أحد أبعاد الفرد". بل أهم بعد في شخصيته. فإذا أهمل البشر الآخرين، ولم يكترث لهم سيخسر خسارة كبيرة وربما لن يصل إلى الكمال المطلوب والسعادة الواقعية.

وليس المجتمع مجرّد أعداد بشرية أو أشخاص نرتبط بهم بعلاقات شخصية بحتة. بل إنّه النظام الحاكم. النظام الذي يفسر حركة المجتمع، وعلى أساسه تُبنى العلاقات ويتعامل كل واحد مع الآخر.

قد يعمل الحاكم أو رئيس المجتمع على فرض نظام خاص به وحمايته؛ ويعتبر بعض الحكّام النظام وسيلة لضمان مصالحهم الشخصية السلطوية، فهم أشد الناس حرصًا عليه. وقد يعمد هؤلاء إلى قتل وإبادة مجموعة كبيرة من الناس، إذا شاهدوا فيهم الخطر والرفض.

ومثل هذا الحاكم الذي يُسمّى طاغوتًا سيقود كل من يقبل بنظامه إلى جهنّم والعذاب الإلهي، فالطاغوت هو عدوّ اللّه وممثل إبليس على الأرض.

لا يستطيع الناس أن يعزلوا أنفسهم عن تأثيرات هذا النظام إذا كانوا يعيشون في ظلّه، وبقبولهم له وعملهم على أساسه تتحوّل

حياتهم إلى حياة طاغوتية، أي إلى حياة معادية للّه سبحانه!

لهذا عليهم قبل أي شيء أن يرفضوا هذا النظام، والرفض يبدأ في القلب والفكر والعقيدة. قد لا يتمكّن الإنسان من تصعيد هذا الرفض في بعض الظروف، ولكن رفضه القلبي يبقى عاملًا أساسيًّا في بقاء الباب مفتوحًا أمامه والطريق مضاءً.

إذا لم يتمكّن الإنسان من إصلاح هذا الجزء الأساسي ـ ولو على مستوى الاعتقاد والقلب ـ فإنّه لن يوفّق لإصلاح بقية الأجزاء في شخصيته، وبالتالي سيبقى المانع موجودًا ولن يصل إلى الكمال.

لهذا، يتحمّل الإنسان مسؤولية أساسية تجاه المجتمع، أي تجاه النظام ومن يمثل هذا النظام ويعمل على حمايته.

وهكذا يمكننا أن نحدّد أهداف الإسلام على الشكل التالي:

- **الهدف النهائي تحقيق سعادة البشر..**
- **وهذه السعادة قائمة على تحصيل جميع الكمالات..**
- **ولأجل تحقّق هذا الهدف ينبغي إزالة جميع العوائق..**
- **وإنّ أكبر هذه العوائق وأخطرها هو ظلم الناس..**

حين نطبّق هذه النظرية الواضحة السهلة على الواقع نتعرّف بسهولة إلى أهداف إمام الزمان عليه السلام ونعرف سر الاختلاف بين الذين آمنوا به على صعيد تحديد أهدافه.

فنجد البعض يركّز كثيراً على الجانب المعنويّ والروحانيّ في انتظاره، ويعدّونه المربي والمرشد الذي سيأخذ بأيديهم إلى ذروة الكمالات المعنوية.

والبعض الآخر يركّز على دوره الكبير في تعليم الناس ونشر العلوم والمعارف على الأرض. وآخرون يرون فيه القائد العظيم للجيوش التي ستحطّم عروش الطواغيت وأنظمة الظلم والفساد..

فهؤلاء جميعًا محقّون، ولكن ينبغي ترتيب أفكارهم لتتّضح الصورة النهائية.

إنّ القيام بوجه الظلم والاستكبار هو المقدّمة للروحانية الخالصة والهداية والإيمان، وفي ظلّ الإيمان والخشوع تترعرع العلوم وتنمو أشجارها الطيبة.

إنّ إمام الزمان عليه السلام لا يحمل للبشر رسالة الثورة والجهاد فحسب، بل إنّه يريد أن يطهّر الأرض من الظالمين لمنع فسادهم

وإفسادهم حتى تتحقّق البيئة اللازمة لتكامل البشر في مختلف المجالات ويصلوا إلى سعادتهم المنشودة.

تؤدّي هذه المعرفة دورًا مصيريًّا في حياتنا.. لماذا؟

لأنّنا نعتقد بأنّ إمام الزمان عليه السلام يقوم منذ غيبته بتهيئة الأرضية المناسبة لظهوره وإعداد العدّة لتحقيق مشروعه الكبير الذي هو حلم الأنبياء منذ بداية التاريخ.

وكيف يكون ذلك؟

بكل بساطة، طالما أنّنا تعرّفنا إلى أهدافه، نستطيع أن نحدّد أولئك الذين يتحرّكون وفق برنامجه السرّي.

ولأنّنا نريد أن نكون من الممهّدين لظهوره الشريف، ولأنّنا نعتقد بضرورة نصرته، فسننضم حتمًا إلى قافلة المهدين ولن نقع في أفخاخ المدّعين والكاذبين.

من الذي لا يقدر على تحديد حكومات وأنظمة الطغيان في العالم؟ وهل نحتاج إلى كثرة تأمّل وبحث لنكتشف من هو النظام الاستكباري الذي يحارب اللّه والإسلام؟!

لاحظوا كيف أنّ وعينا لأهداف الإسلام يوصلنا مباشرةً إلى المكان

الـذي ينبغـي أن نكـون فيـه. فإنّنـا إذا عرفنـا العـدوّ الأكـبر والطاغـوت الأخطـر نعـرف منـه عـدوّه الأشـد.

وبمعرفتنـا لعـدوّ الاسـتكبار والطّاغـوت، نكـون قـد عرفنـا مـن هـم أنصـار إمـام الزمـان ومـن هـم أهـل الحـقّ.

وهكـذا نعـرف الخطـوة الأولى باتّجاهـه، وإذا تقدّمنـا بهـذه الخطـوة صرنـا مـن المنتظريـن بحـقّ، وعلينـا أن ننتظـر الفـرج الحقيقـي.

كيف نحقّق الرابطة العميقة بالإمام (عج)؟

إذا استقرّت معرفة الإمام المهدي ﷺ في النفس يحصل توجّه عميق نحوه، وتشتدّ الرّغبة بالاتّصال به والاستفادة منه.

وإذا شاهد صاحب هذه المعرفة أحوال المجتمع واطّلع على حوادث العالم وما يجري فيه من ظلم وفساد، تتحوّل هذه الرغبة عنده إلى شوق وحنين.

كل ذلك لأنّ من عرف إمام الزمان وآمن به بقلبه وروحه لا يمكن أن يطّلع على آلام البشر ولا يبالي!! فالإيمان يحيي فطرة الإنسانية ومحبّة البشر، ويجعل المؤمن حريصًا عليهم رؤوفًا بهم، وحين يرى حجم الظلم الهائل والمعاناة والمآسي والفجائع التي تدمي القلب وتزهق الروح، فإنّه سيتوجّه مباشرة إلى أمرين:

الأول: السؤال عن المسبّب لهذه المآسي.

الثاني: البحث عن الخلاص أو المخلّص.

وحيث إنّ إيمانه امتزج بمعرفة الإمام ودوره في حياة البشر، فإنّه سيصل مباشرةً إلى المخلّص الواقعي الذي يحمل معه برنامج إصلاح العالم والقضاء على أشكال الظلم والفساد فيه.

فها هنا مسألتان، الأولى: معرفة الإمام، والثانية: حجم الاطّلاع على العالم والمجتمع. وهما مجتمعتان تجعلان التوجّه إلى إمام الزمان عميقًا وقويًّا.

فلو عرف المؤمن إمام الزمان في مقامه وعلوّ شأنه ومنزلته عند اللّه من دون أن يطّلع على مآسي العالم، ربّما يبقى شوقه إليه ناقصًا ومحدودًا، بينما إذا انغمس في هموم البشر ومشاكل المجتمعات الإنسانية، واعتصر قلبه ألمًا وحزنًا ممّا يجري، سيكون إقباله وطلبه لإمام الزمان شديدًا. إنّ اسم إمام الزمان ممتزج أشدّ الامتزاج بدوره المصيريّ الكبير. إنّ غيابه لم يكن طوال هذه القرون إلّا من أجل خلاص البشر وإنقاذهم؛ فمن أشعر قلبه همّ العالم صار قريبًا من الإمام.

هل هناك ما يمكن عمله؟

بالطبـع، فـإنّ الشـعور القلبـيّ لوحـده لا يكفـي في هـذه الحيـاة لأنّـه قـد يـزول، فـأيّ اعتقـاد مهـما كان مستحكمًا في النفـس وثابتًـا في العقـل، إذا لم يُترجـم إلى عمـل فإنـه معـرّضٌ للنسـيان أو الإنـكار!

يقول الإمام الخامنئي(حفظه الله):

"الانتظار يوجب على الإنسان أن يعدّ نفسه بطريقة وهيئة وخُلُقٍ يقارب الشاكلة والهيئة والخُلُق المتوقع في الزمان الذي ينتظره. فهذا من لوازم الانتظار. فعندما يكون ذلك العصر المنتظَر هو عصر الحق والتوحيد والإخلاص والعبودية لله وهو منتظَرٌ فعلينا أن نقرّب أنفسنا من مثل هذه الأمور ونعرّف أنفسنا على العدل ونهيّئها للعدل ولقبول الحق.

إنّ الانتظار يوجد مثل هذه الحالة. ومن الخصائص المودعة في حقيقة الانتظار هي أن لا يقنع الإنسان بالوضع الموجود وبالمقدار الذي تحقّق من التقدّم اليوم؛ بل يسعى أن يزداد هذا التقدّم يوماً بعد يوم، وما تحقق من حقائق وخصال معنوية وإلهية في نفسه وفي المجتمع. إن هذه من لوازم الانتظار."

الأعـمال والتحـرّكات المنبثقـة مـن الاعتقـاد هـي التـي تثبـت في القلـب وتحافـظ عـلى حرارتـه.

تصـوّر لـو أنّ شـخصًا كان يعتقـد بعظمـة الإمـام المهـدي ومقامـه العالي عنـد اللّـه تعـالى، لكنّـه دخـل في مشـاريع الظالمـين وأعمالهـم وأعانهـم في مخطّطاتهـم التـي تعمـل عـلى السـيطرة عـلى المسـتضعفين ومقدراتهـم، وارتبطـت مصالحـه بهـم بحيـث صـار معاشـه وراتبه منهـم. فهـل نتوقّع أن يبقـى محبًّـا ومنتظـرًا لإمـام الزمـان وباسـط العـدل؟!

إنّ كل درجـة مـن الارتبـاط بالظالمـين تعنـي تراجـع الإيمـان في القلـب درجـة أو أكـثر. وهكـذا إذا اسـتمر هـذا الأمـر، يـزول الإيمـان والحـب لـولي اللّـه كليًّـا.

فأهـم شيء بعـد المعرفـة اجتنـاب أي أمـر يمكـن أن يضعـف تأثـير تلـك المعرفـة في النفـس، ومـن الممكـن بعدهـا أن نقـوم بأعـمال عديـدة لتقويـة الارتبـاط بالإمـام وتعميقـه. ومنهـا:

الثبات على ولايته

ومعنـاه الالتـزام الدائـم بـأن نكـون في صفّـه وصـفّ مـن يواليـه ويتّبعـه ويمـشي عـلى نهجـه ويمهّـد لـه.

وعـن الإمـام الباقـر عليه السلام أنّـه قـال: "**يـأتي عـلى النـاس زمـانٌ يغيـب عنهـم إمامهـم ، فيـا طـوبى للثابتـين عـلى أمرنـا في ذلـك الزمـان. إنّ أدنى مـا يكـون لهـم مـن الثـواب أن ينـادي بهـم البـاري جـلّ جلالـه فيقـول: عبـادي آمنتـم بـسرّي وصدقتـم بغيـبي فأبـشروا بحسـن الثـواب مـنّي، أي عبـادي حقًّـا منكـم أتقبـل وعنكـم أعفـو ولكـم أغفـر، وبكـم أسـقي عبـادي الغيـث وأدفـع عنهـم البـلاء، لولاكـم لأنزلـتُ عليهـم عـذابي**".[17] والثابـت عـلى أمـر أهـل البيـت هـو الملتـزم بمشروعهـم لتغيـير العـالم واعتبـاره مـشروع حياتـه.

البراءة من أعدائه

والـبراءة الحقيقيـة هـي الرفـض التـامّ والمواجهـة. فـإنّ العـداء لأعداء إمـام الزمـان يقـوّي الارتبـاط بـه، ويجعـل صاحبـه مسـتعدًّا ليكـون في صفّــه. والــبراءة متمّمــة للولايــة ومــن دون الــبراءة لا تكــون الولايــة حقيقيـة. وعـن رسـول اللّه(صـلّى اللّـه عليـه وآلـه وسـلّم) أنـه قـال: "**يـا عـلي! والـذي بعثـني بالنبـوّة واصطفـاني عـلى جميـع البريـة، لـو أنّ عبـدًا عبـد اللّـه ألـف عـام مـا قُبـل ذلـك منـه إلّا بولايتـك وولايـة الأئمـة مـن ولـدك، وإنّ ولايتـك لا تُقبـل إلا بالـبراءة مـن أعدائـك**

وأعـداء الأئمـة مـن ولـدك، بذلـك أخـبرني جبرائيـل، فمـن شـاء فليؤمـن ومـن شـاء فليكفـر".[18] وعنه صلّى اللّه عليه وآله: **"طـوبى لمـن أدرك قائـم أهـل بيـتي وهـو يأتـم بـه في غيبتـه قبـل قيامـه، ويتـولّى أوليـاءه ويعـادي أعـداءه. ذلـك مـن رفقـائي وذوي مـودتي وأكـرم أمـتي عـليّ يـوم القيامـة**".[19]

وإذا لم يتمكّـن المؤمـن مـن إعـلان الرفـض والـبراءة، فعليـه أن يحافـظ عـلى هـذا العـداء لأعـداء إمـام الزمـان وأعـداء الإنسـانية في نفسـه، لـكي يحافـظ عـلى هـذا الاسـتعداد. فـإنّ نسـيان العـداء وعـدم الشـعور بـه بشـكل دائـم يـؤدي في النهايـة إلى زوال الولايـة مـن القلـب.

الالتزام بمنهج الشريعة في شؤون الحياة

لا ننـسى بـأنّ إمـام الزمـان حـين يظهـر فإنّـه سـيجعل شريعـة اللّـه القانـون العـام لحيـاة البـشر وحكومـة المجتمـع العالمـي. ومـن الواضـح أنّ الـذي يسـعى للالتـزام بأحـكام اللّـه في كل تفاصيـل حياتـه قبـل ظهـوره الشريـف سـيكون مسـتعدًّا لتقبّـل هـذا القانـون أكـثر مـن غـيره حـين ظهـوره؛ بـل إنّـه سـيعتبره أكـبر إنجـاز يحقّقـه الإمـام المهـدي عليه السلام

بعـد بسـط العدالـة عـلى أرجـاء العـالم.

ونحـن إذا نظرنـا إلى الأحاديـث التـي تبيّن خصائـص وصفـات أنصـار إمـام الزمـان والممهديـن لـه، نجـد أنّ مـن أهـم الصفـات البـارزة فيهـم صفـة التقـوى التـي تعنـي الالتـزام بأحـكام اللّـه في جميـع أبعـاد الحياة.

فعـن رسـول اللّـه (صـلّى اللّـه عليـه وآلـه وسـلّم) أنـه قـال: **"إنـه سـيكون في آخـر هـذه الأمـة قـوم لهـم مثـل أجـر أولهـم، يأمرون بالمعـروف وينهـون عـن المنكـر ويقاتلـون أهـل الفـتن".**[20]

وكـما نعلـم فـإنّ الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر هـما الفريضـة الأساسـية في الإسـلام التـي كانـت سـببًا في تفضيـل أمّـة محمـدﷺ عـلى باقـي الأمـم. قـال اللّـه تعـالى: ﴿**كُنْتُـمْ خَـيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنَّـاسِ تَأْمُـرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ**﴾[21].

وهـذه الفريضـة هـي الدليـل عـلى أنّ صاحبهـا ملتـزم حقًّـا بباقـي الفرائـض والأحـكام الإسـلامية، فقـد رُوي عـن الإمـام الباقـرعليه السلام: **"إنّ الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر سـبيل الأنبيـاء ومنهـاج الصلحاء، فريضـة عظيمـة بهـا تقـام الفرائـض وتأمـن المذاهب وتحل المكاسـب وتـرد المظالـم وتعمّر الأرض ويسـتقيم الأمـر".**[22]

الدعاء

للدعاء دور عظيم في إبقاء الرابطة المعنوية وتقويتها. إنّ الدعاء يمدّ النفس بالمشاعر اللازمة لكي تثبت وتستمر، وخصوصًا إذا التفتنا إلى أنّ اللّه تعالى وعد كل من دعاه بصدق أن يستجيب دعاءه، والإجابة هنا أن يعرّفه أنّه سمعه وسمع ما يطلبه. وحين يعلم المؤمن بذلك فإنّه يزداد إيمانًا واعتقادًا بالحقّ.

حين يدعو المؤمن لإمام الزمان ويطلب تعجيل ظهوره، فإنّه يزيد من شعوره وإيمانه بأنّ إمام الزمان موجودٌ حي حاضر. وهذا الشعور يثبّته على نهجه ومسيرته.

ومن شدّة أهمية الدعاء لإمام الزمان، نجد أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا يدعون له أيضًا ولا يكتفون بتوجيهنا إليه. وقد رُوي عنهم مجموعة من الأدعية المهمّة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل بالدرجة الأولى على الدور العظيم الذي سيقوم به إمام الزمان عليه السلام والذي كان هدف الأئمة الأطهار جميعًا.

وقد رُوي عن والد الإمام المهدي عليه السلام أنّه قال: **"واللّه ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من التهلكة إلا من يثبته اللّه على القول**

بإمامتـه ووفقـه فيهـا للدعـاء بتعجيـل فرجـه".[23]

وجـاء في رسـالة موقّعـة مـن الإمـام المهـدي نفسـه : **"أكـثروا الدعـاء بتعجيـل الفـرج فـإن ذلـك فرجكـم".**[24] هـذا، ويوجـد عـشرات الأدعيـة التـي تجعـل قضيـة إمـام الزمـان(عج) حـاضرة في النفـس، وتجعـل النفـوس أكـثر شـوقًا للقائـه والعمـل عـلى مشروعـه الكبير. وهـي مذكـورة في كتـب الأدعيـة المشـهورة ومـن أهمّهـا دعـاء الندبـة والعهـد والغيبـة.

التمهيد لظهوره

وهـو يعنـي أن نقـوم بالأعـمال والمشـاريع التـي تكـون سـببًا لظهوره والتعجيـل بـه. فـإنّ كل مـن عـرف سـبب غيابـه، يـدرك أنّ ظهـوره الشريـف يحتـاج إلى تمهيـد واسـتعداد.

قسـمٌ مـن النـاس يمهّـدون لـه، وقسـمٌ آخـر يصبحـون مسـتعدّين لظهـوره. وهكـذا تتـم القاعـدة الجماهيريـة التـي يحتاجهـا الإمـام للانطـلاق نحـو تغيـير العـالم.

وللإمـام الخامنئـي الـذي هـو أهـم ممهّـد في عصرنـا كلامٌ أسـاسي لـكلّ مـن يفهـم معنـى الولايـة، فهـو يقـول: **"واجبكـم اليـوم هـو أن تمهّـدوا لـكي يـأتي الإمـام المهـدي وينطلـق مـن تلـك القاعـدة**

المهيئة. لا يمكن الانطلاق من نقطة الصفر. المجتمع الذي يمكنه أن يتقبّل حكومة المهدي الموعود أرواحنا فداه هو المجتمع المستعد لذلك.. وإذا لم يكن المجتمع كذلك فإنه سينتهي إلى المصير نفسه الذي انتهى إليه مجتمع الأنبياء على امتداد التاريخ.

.. إذن من الممكن تمهيد الأجواء. وإذا اتّسع بإذن اللّه وجود مثل هذه الأجواء، تكون الأرضية قد أُعدّت لظهور بقية اللّه أرواحنا فداه، وتتحقّق عند ذاك هذه الأمنية العريقة التي لطالما راودت أذهان البشر والمسلمين" [25].

وهذا التمهيد هو المعنى الحقيقي لانتظار الفرج. فالمنتظر الواقعي لإمام الزمان عليه السلام هو الذي يعمل كل ما بوسعه لأجل تهيئة الأرضية والقاعدة المناسبة لظهوره، وهو يبحث عن كل من يعمل في هذا الطريق، وعن كل ما يساعد على ذلك، بل إنه يفتّش دومًا عن أفضل ما يحقّق ذلك ولا يكتفي بالأعمال البسيطة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **"أحب الأعمال إلى اللّه تعالى انتظار الفرج"** [26].

ولا شـك بـأنّ التمهيـد يتطلّـب الوحـدة ورصّ الصفـوف وعـدم الاختـلاف الـذي يشـتّت الجهـود. ونحـن إذا نظرنـا اليـوم إلى الكثيريـن ممـن يدّعـون أنهـم موالـون لإمـام الزمـان نجـد أنهـم غـير ملتفتـين إلى أهـم شرط وعامـل لظهـوره، وهـو وحـدة الكلمـة، ونبـذ التفـرق! وهـذا هـو السـبب الأسـاسي الـذي يؤخّـر مجيئـه وظهـوره المبـارك.

ولا يحتـاج العاقـل الفهيـم إلى كثـير تفكـر حتـى يعـرف أن أهـم عامـل لحفـظ الوحـدة بـين المنتظريـن هـو أن يكـون لهـم قيـادة واحـدة قويـة بصـيرة. وبحمـد اللّـه فـإن اللّـه تعـالى قـد منَّ عـلى هـذه الأمـة بقيـادة يعرفهـا كل العـالم ويشـهد لهـا بأنهـا تقـف في مقابـل أعـداء الديـن والإنسـانية.

تهذيب النفس

حـين نعـرف معنـى تهذيـب النفـس نـدرك مـدى تأثـير هـذا الأمـر عـلى العلاقـة بالإمـام المهـدي عليه السلام. لأنّ النفـس الزكية والمهذّبـة والمتّصفة بالأخـلاق الحسـنة تكـون مسـتعدة دومًـا لقبـول الحـقّ والعمـل بـه، بخـلاف النفـوس السـيّئة وإن كانـت تمتلـك الاعتقـاد السـليم.

وقـد ورد عـن الإمـام الصـادق عليه السلام أنـه قـال: **"مـن سرّه أن يكـون**

مـن أصحـاب القائـم فلينتظـر وليعمـل بالـورع ومحاسـن الأخـلاق وهـو منتظـر؛ فـإن مـات وقـام القائـم بعـده، كان لـه مـن الأجـر مثـل أجـر مـن أدركـه، فجـدّوا وانتظـروا.."[27].

الحزن والبكاء على فراقه

نبـدأ بذكـر هـذه القصّـة المعـبرة أوّلاً.. سـدير الصـيرفي رجل مـن أصحاب الأئمـة عليهم السلام يُذكـر أنّـه دخـل مـع المفضـل بـن عمـر وأبي بصـير وأبـان بـن تغلـب عـلى الإمـام الصـادق فجـأة فـرأوه جالسًـا عـلى الـتراب في حالـة عجيبـة وهـو يبـكي بـكاء الثـكلى التـي فقـدت أولادهـا جميعًـا، وظهـر الحـزن عليـه وبللـت الدمـوع خديـه وهـو يقـول:

"سـيّدي غيبتـك نفـت رقـادي وضيّقـت عـليّ مهـادي وابـتزّت مـني راحـة فـؤادي!

سـيّدي غيبتـك أوصلـت مصـابي بفجائـع الأبـد وفقـد الواحـد بعـد الواحـد يفـني الجمـع والعـدد!

فمـا أحـسّ بدمعـة تـرقى مـن عيـني وأنـين يفـتر مـن صـدري عـن دوارج الرزايـا وسـوالف البلايـا".

فطـار عقـول أصحابـه لمّـا سـمعوه وتصدّعـت قلوبهـم وظنّـوا أنّـه

سمع بحادثة كبيرة ومصيبة عظيمة فقالوا له: لا أبكى اللّه يا ابن خير الورى عينيك، من أيّ حادثة تسترق دمعتك وتستمطر عبرتك وأيّ حالة حتمّت عليك هذا المأتم؟

فزفر الإمام الصادق(عليه السلام) زفرة كبيرة وقال: **"ويلكم، نظرت في الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خصّ اللّه به محمدًا والأئمة من بعده، وتأمّلت مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال اللّه عزّ وجلّ عنها: "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" يعني بذلك الولاية، فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان"** [28].

هذه القصة تعكس مدى حزن الأئمة(عليهم السلام) على غيبة الإمام المهدي، وهو حزن كبير جدًّا، وما دام الإمام غائبًا فإنّ هذا الحزن باقٍ. وإذا عرفنا من هو المؤمن الحقيقيّ أدركنا ما هي العلاقة بين الحزن على إمام الزمان والارتباط به. وقد نقل عن أمير المؤمنين

علي عليه السلام أنه قال: **"إن اللّه تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا. أولئك منّا وإلينا"** [29].

والمطلوب هو التأثّر والحزن الفعلي، وليس مجرّد معرفة أحزان الإمام.

ملحق 1

التكنولوجيا سيف ذو حدين

التكنولوجيا هي فن تسخير الطبيعة واستغلال قوانينها ومواردها. وتسخير الطبيعة مطلوب لأنّ اللّه خلقها لنا. **﴿سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[30]، **﴿وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[31].

حين نسخّر الطبيعة فإنّنا نجعل ما فيها من إمكانات ومواد وثروات لأجل مصلحتنا ورفاهنا.

كل شعب من الشعوب التي مرّت على هذا العالم كان يسخّر الطبيعة بحسب علمه وطريقته ونظرته إلى الحياة والرفاهية. والشعوب الأوروبية قامت أيضًا بتسخير الطبيعة

مســتخدمةً العلــم.

ليـس المهـم أن نسـخَر الطبيعـة ونسـتخرج منهـا المـواد ونقـوم بتصنيعهـا لتتحـوّل إلى آلات وأدوات كالتلفزيـون والسـيارة والطائـرة والهاتـف والكمبيوتـر، بـل المهـم أن تكـون هـذه الأدوات لمصلحـة البشريـة. والمهـم أيضًـا أن تحافـظ هـذه التكنولوجيـا عـلى الأرض والطبيعــة لتبقــى للأجيــال المقبلــة، ولتبقــى أيضًــا مكانًــا يحلــو العيـش فيـه. أمّـا أن نسـخّرها كيفـما كان مـن دون النظـر إلى عواقـب الأمـور والآثـار فهـذا أمـرٌ غـير محمـود.

إذاً، بالإضافــة إلى العلــم، يحتــاج الإنســان إلى العقــل. العلــم يعطينــا القــدرة عــلى تحويــل مــواد الطبيعــة إلى أشــياء مختلفــة والعقـل يعطينـا البصـيرة والنـور الـذي يقـول لنـا مـا هـو الأفضـل والأصلـح لنـا.

الحاسـوب الـذي أكتـب عليـه هـذه المقالـة لـه فوائـد عديـدة. لكـن هـل يكفـي أن أنظـر إلى فوائـده مـن دون أن ألاحـظ سـلبياته وآثـاره السـيئة؟

السـيارة التـي سـتأتي لتوزيـع المجلـة عليكـم لهـا فوائـد

كثـيرة، لكـن هـل هـذه الفوائـد أهـم مـمّا تسـبّبه للبيئـة مـن تلـوّث وللطبقـات الجويـة مـن خـراب يهـدّد مصـير العـالم؟

الهاتـف الخلـوي أسـتخدمه للتواصـل السريـع والمبـاشر في كثـير مـن أعـمالي، لكـن ألم يكـن بالإمـكان أن أخـترع جهـازًا لا يتسـبّب بالمشـاكل للدمـاغ والأعصـاب؟

كل يـوم تطالعنـا الدراسـات بمعلومـات خطـيرة عـن الآثـار السـيّئة للتكنولوجيـا وتؤكّـد لنـا أنّ الإنسـان مـا لم يتعقّـل في كيفيـة تسـخير قوانـين الطبيعـة ومواردهـا فسـوف يصـل إلى عواقـب وخيمـة تهـدّد مسـتقبل الحيـاة عـلى الأرض.. فهل سـتكون الأرض شـبيهة بعـالم "وولي" الـذي يمتلـئ بالنفايـات والسـحب السـوداء التـي تحبـس الحيـاة وتمنـع ظهورهـا؟

مساحة للتفكّر والتحليل

① ما يدعو إليه الكاتب في هذا المقال هو:

أ التوقّف عن استخدام التكنولوجيا لأنها مضرّة بالإنسان والطبيعة.

ب الحدّ من استخدام التكنولوجيا حتى لا يتم القضاء على الموارد الطبيعية.

ج تسخير الطبيعة واستخدام التكنولوجيا بشكل عقلاني لا يضر بالإنسان.

د الحذر من الآثار السيئة لاستخدام التكنولوجيا وتسخير الطبيعة.

② يعتقد الكاتب أنّ تسخير الطبيعة هو أمر:

أ مرفوض لأنه منافٍ للعقل والدين.

ب مطلوب ولكن على أن يكون في مصلحة الإنسان.

ج مرفوض من ناحية، ومطلوب من نواحٍ أخرى.

د لا رأي للكاتب في هذا الموضوع، هو فقط يعلّق على واقع تسخير الطبيعة الموجود.

برأيـك، مـا الـذي أدّى إلى تسـخير الطبيعـة بنحـو يـضر بالطبيعـة والبـشر؟

هـل أنـت ممّـن يشـجّع عـلى اسـتخدام التكنولوجيـا واسـتحداث وسـائل تقنيـة وأجهـزة جديـدة، ولمـاذا؟

ملحق 2

نماذج الكمال في العالم

أيها تختار ؟

لـكلّ شـعب مـن شـعوب العـالم إنسـانٌ كامـل أو صـورة للإنسـان الأعـلى. يكـون هـذا الإنسـان قـدوة للنـاس، يذكرونـه في أشـعارهم وقصصهـم وملاحمهـم. يسـمّون أبناءهـم باسـمه تيمّنًـا، ويتفاخـرون بـه أمـام الشـعوب الأخـرى، فهـو يمثّـل منتهـى القيـم والكـمالات التـي يؤمنـون بهـا.

ربّمـا تجـد في شـعب منغوليـا مـن يعتقـد أن جنكيـز خـان أو هولاكـو هـو الإنسـان الأعـلى، لأنّـه الفاتـح للبلـدان، وبطـل الحـروب والمعـارك، والبـاني للإمبراطوريـات.

وربّمـا تجـد شـعب آخـر مـن شـعوب آسـيا مـن يـرى أنّ الإنسـان الكامـل هـو الـذي يعيـش في سـلام مـع كائنـات العـالم كلّـه، ولا

يعتدي على أحد مهما كان. ويزهد في الدنيا ويعرض عنها ليعيش منفردًا بنفسه لا يكترث لما يجري من حوله. فالكمال عند هؤلاء هو الهدوء والسلام الداخلي الذي يحصل من الابتعاد عن كل أنواع الاحتكاك بالناس.

بعض الشعوب ترى أنّ الإنسان الكامل هو الذي يقدر على فعل الخوارق. ينفث نارًا من فمه أو يرتفع في الهواء. فالكمال بالنسبة لهؤلاء هو في قدرة الإنسان على فعل الأعاجيب التي لا يقدر عليها الناس العاديّون، ولهذا ينجذبون لأيّ إنسان يسمعون عنه الخوارق حتى لو كان مشعوذًا، ولا يهمّهم من أي طريق وصل إلى هذه الأمور.

شعوب أخرى ترى الكمال في المحبّة، والإنسان الكامل هو الذي يحب كلّ الناس مهما كانوا ويكون مستعدًّا للتضحية بنفسه ولو بالصّلب من أجلهم.

آخرون يرون الكمال في الحنكة والمكر والقدرة على الوصول إلى السلطة والتأثير على الناس وتوجيههم. فيكون الملوك الفاعلون والمؤثّرون في مجرى أحداث التاريخ أعظم الناس عند هؤلاء لأنّهم

يعتبرونهـم سـببًا لانتشـار العلـوم والإبـداع والفنـون وغيرهـا.

ويوجـد موجـة كبـيرة مـن الأفـكار بـين الشـباب خصوصًـا، تمجّـد الكـمال الجسـماني. فـإذا كان الإنسـان جميـلًا. وإذا كان لديـه تقطيعـات مميّـزة في عضلاتـه وقـوّة بدنيـة فهـو إنسـان كامـل.

وموجـة أخـرى تمجّـد الشـهرة، حتـى لـو لم تكـن مـن أسـاس صحيـح أو واقعـي. وعنـد هـؤلاء يكـون الممثّلـون أصحـاب الإطلالـة المميـزة أكمـل النـاس، فهـم يعشـقونهم لمجـرّد شـهرتهم ومـن دون النظـر إلى خصائصهـم وأخلاقهـم وعلومهـم وحكمتهـم.

والموجـة الثالثـة هـي تمجيـد الأبطـال الرياضيـين الفائزيـن بالميداليـات الذهبيّـة والكـؤوس العالميـة مـن خـلال مهارتهـم في القيـام بحـركات مميّـزة حصلـوا عليهـا بالتمريـن المسـتمر.

فمن هو الإنسان الكامل في الإسلام؟

كان الأنبيـاء والرسـل ومـن بعدهـم الأئمّـة الأطهـار عليهـم السـلام أفضـل مـن يمثّـل الكـمال الواقعـيّ.

فهـم أصحـاب الفتوحـات والأمجـاد ولكنّهـم فتحـوا القلـوب قبـل أن يفتحـوا البلـدان.

وقـد قامـوا بأعظـم الخـوارق والمعجـزات التـي لا يقـدر عليهـا أي إنسـان آخـر ومـع ذلـك لم يسـتغلّوا قدراتهـم الإعجازيـة للسـيطرة عـلى النـاس وأخـذ أموالهـم وجمـع الكنـوز بـل أنفقـوا كل مـا عندهـم في سـبيل الفقـراء والمعذّبـين.

ورغـم أنّهـم كانـوا يتمتّعـون بصحّـة جيّـدة وجسـم متـين يقـدرون بـه عـلى مصارعـة الأبطـال وهزيمـة الجبابـرة إلّا أنّهـم لم يسـتعرضوا عضلاتهـم للحصـول عـلى الكـؤوس والميداليـات.

ورغـم أنّ شـهرتهم عمّـت الآفـاق وبلـغ عشـاقهم الملايـين إلّا أنّهـم بقـوا عـلى تواضعهـم وتذلّلهـم للّـه. لم يلبسـوا لبـاس شـهرة ولا زخرفـوا القصـور، ولا اسـتعبدوا النـاس، بـل كانـوا دومًـا في خدمتهـم.

فالكـمال كلّ الكـمال في أن يكـون لديـك كل الكـمالات مـن دون أن تُعجـب بنفسـك، بـل تـرى نفسـك مقـصّرًا بـين يـدي اللّـه وفي خدمـة النـاس.

مساحة للتفكّر والتحليل

(1) هدف الكاتب من هذا النص هو أن يعرّفنا على:

- أصناف الناس الكمّل في العالم.
- حقيقة الإنسان الكامل.
- معايير الكمال عند الشعوب المختلفة.
- معايير الكمال عند الشباب.

(2) اعتبر الكاتب أنّ الكمال الواقعي هو في:

- الحصول على المال والشهرة.
- الحصول على جسمٍ كامل.
- القيام بالأفعال الخارقة.
- أن يكون لدى الإنسان كل الكمالات ومع ذلك يشعر بالتقصير أمام الله.

أعدّد معايير الإنسان الكامل عند الشعوب المختلفة.

برأيك لماذا يعتبر الناس من يتمتّع بهذه المعايير إنساناً كاملاً؟ هل توافقهم الرأي؟ ولماذا؟

مطالعات إضافيّة:

- محمد رضا حكيمي، الإمام المنتظر أمل المعصومين الأطهار.
- الشيخ محمد مهدي الآصفي، الانتظار الموجّه.
- السيّد محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي.
- السيّد محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى.
- الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة.
- الشيخ حسين زين الدين، خليفة الأرض.
- مهدي حسن علاء الدين، مسؤوليات المؤمن تجاه إمام الزمان.
- الشهيد مرتضى المطهري، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ.
- س. عباس نورالدين، المنقذ الأخير.

هوامش

1ـ سورة آل عمران، الآية 110.

2ـ الكافي، ج2، ص 84.

3ـ الكافي، ج2، ص 85.

4ـ سورة الروم، الآية 30.

5,6,7,8,9,10ـ living in the environment, miller and spoolman.

11ـ سورة الأعراف، الآية 58.

12ـ سورة الحج، الآية 5.

13,14 - living in the environment, miller and spoolman.

15 الأعراف، الآية 96.

16 ـ المائدة، الآية 66.

17ـ بحار الأنوار، ج52، ص145.

18ـ بحار الأنوار، ج23، ص63.

19ـ نور الثقلين، ج2، ص505.

20ـ دلائل النبوة، ج6.

21ـ سورة آل عمران، الآية 110.

22ـ وسائل الشيعة، ج16،ص119.

23ـ بحار الأنوار، ج52،ص24.

24ـ كمال الدين، ج2،ص485.

25ـ 15 شعبان 1418هـ .

26ـ بحار الأنوار، ج52،ص123.

27ـ بحار الأنوار، ج52،ص140.

28ـ بحار الأنوار، ج51،ص220.

29ـ بحار الأنوار، ج10،ص114.

30 ـ الجاثية الآية 13.

31ـ النحل الآية 14.

في هذه السلسلة:

- كيف أجعل مجتمعي قويًّا؟
- كيف أهذّب نفسي؟
- كيف أزداد إيمانًا؟
- كيف أصبح ناشطًا سياسيًّا؟
- كيف أصبح فيلسوفًا؟
- خزائن الحكمة
- الدعاء لكلّ حاجة
- كيف أصبح كاتبًا ناجحًا؟
- كيف أصبح عارفًا؟
- لماذا أتعلّم؟
- كيف أصبح قائدًا صالحًا؟
- كيف أصبح فقيهًا؟
- كيف أمتلك جسدًا قويًّا؟
- الدليل المرشد إلى الأعمال العظيمة
- كيف أصنع فيلماً يدهش العالم؟
- لماذا صار المسلمون هكذا؟
- كيف أصلّي بخشوع؟
- لماذا كانت عاشوراء؟
- كيف يكون القرآن قائدي؟
- كيف نحرّر فلسطين؟
- كيف أصبح مخلصاً؟

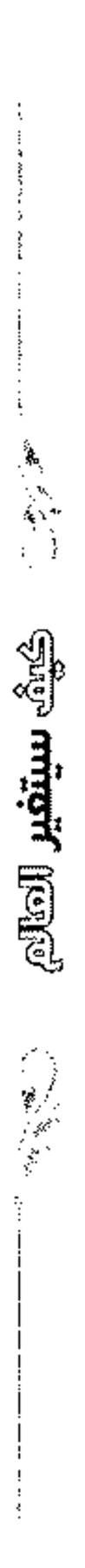

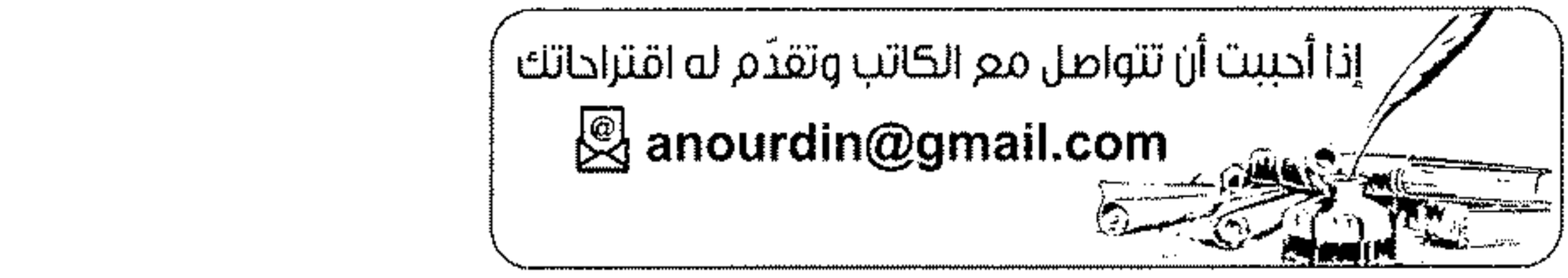

إذا أحببت أن تتواصل مع الكاتب وتقدّم له اقتراحاتك
anourdin@gmail.com